



جامعة النجاح الوطنية  
كلية الدراسات العليا

ترجيحات فضل عباس في مسائل نزول القرآن في كتابه إتقان  
البرهان في علوم القرآن  
(دراسة تحليلية)

إعداد

عبد الرؤوف ابراهيم يونس محمود

إشراف

د. خالد علوان

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين، من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين.

2025

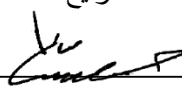
ترجيحات فضل عباس في مسائل نزول القرآن في كتابه إتيان  
البرهان في علوم القرآن  
(دراسة تحليلية)

إعداد

عبد الرؤوف ابراهيم يونس محمود

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2025/07/10م، وأجيزت:

  
التوقيع

  
التوقيع

  
التوقيع

د. خالد علوان

المشرف الرئيسي

د. أسامة مهنا

الممتحن الخارجي

د. عودة عبد الله

الممتحن الداخلي

## الإهداء

إلى نبينا محمد ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين.

إلى والديّ رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

إلى كل من عشق هذا الدين وذب عنه أباطيل الحاقدين

إلى علماء الأمة المخلصين الذين بذلوا من أجله الغالي والنفيس

إلى جميع أساتذتي الكرام؛ ممن لم يتوانوا في مد يد العون لي

أهدي إليكم رسالتي هذه

## الشكر والتقدير

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

في بداية كلمتي لآبد لي أن أتوجه أولاً بالشكر لله تعالى الذي وفقني لتنظيم هذه الخطوة في مسيرتي العلمية، ومهد لي هذا الطريق المبارك.

كما أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان للدكتور خالد علوان الذي تقصّل بقبول الإشراف على رسالتي، والذي منحني من وقته الثمين ومن بحر معلوماته وخبراته الواسعة، حيث كانت توجيهاته ونصائحه المنارة التي استعنت بها في عملي البحثي، فأسأل الله العزيز أن يجزيه خير الجزاء.

والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة الكرام على تفضلهم بقبول مناقشة رسالتي هذه.

كما لا يفوتني أن أشكر الدكتور محمد الجيطان الذي وجهني للكتابة في هذا الموضوع فجزاه الله خيراً.

وأخيراً أتوجه بالشكر والامتنان لزوجتي الغالية والتي عانت وتعاني معي ليل نهار وتتقانى من أجل خدمتي وأبنائي، وصبرت معي على مشاق هذه المسيرة التعليمية.

## الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان :

# ترجيحات فضل عباس في مسائل نزول القرآن في كتابه إتقان البرهان في علوم القرآن (دراسة تحليلية)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: عبد الرؤوف ابراهيم يونس محمود

التوقيع: عبد الرؤوف محمود

التاريخ: 2025/07/10

## فهرس المحتويات

الإهداء	أ.....
الشكر والتقدير	ب.....
فهرس المحتويات	ت.....
الملخص	ث.....
المقدمة	1 .....
الفصل الأول: تعريف عام بالدراسة	4 .....
المبحث الأول: التعريف بفضل عباس	4 .....
المبحث الثاني: التعريف بكتاب (إتقان البرهان في علوم القرآن).	7 .....
المبحث الثالث: تعريف الترجيح لغة واصطلاحاً	10 .....
المبحث الرابع: معالم عامة لمنهج فضل عباس في الترجيح في مسائل نزول القرآن	12 .....
المبحث الخامس: معنى نزول القرآن الكريم وأسباب النزول	18 .....
الفصل الثاني: ترجيحات فضل عباس في تنزلات القرآن وأول ما نزل وآخر ما نزل من الآيات والصور	20 .....
المبحث الأول: تنزلات القرآن الكريم	20 .....
المبحث الثاني: أول ما نزل من القرآن	25 .....
المبحث الثالث: آخر سورة نزلت	31 .....
المبحث الرابع: أول ما نزل من الآيات	34 .....
المبحث الخامس: آخر ما نزل من الآيات	40 .....
الفصل الثالث: ترجيحات فضل عباس فيما يتعلق بتعدد النزول ونزول بعض الآيات	47 .....
المبحث الأول: ما نزل مكرراً	47 .....
المبحث الثاني: تعدد النازل والسبب واحد	50 .....
المبحث الثالث: سبب نزول بعض الآيات	53 .....
الخاتمة	60 .....
قائمة المراجع	62 .....
Abstract	B.....

# ترجيحات فضل عباس في مسائل نزول القرآن في كتابه إتقان البرهان في علوم القرآن (دراسة تحليلية)

إعداد

عبد الرؤوف ابراهيم يونس محمود

إشراف

د. خالد علوان

## الملخص

تناول الباحث في هذه الدراسة التعريف بفضل عباس، والتعريف بكتابه (إتقان البرهان في علوم القرآن) وتناولت الدراسة بيان منهجه في مسائل نزول القرآن في كتابه المذكور.

وقد قسّم الباحث هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول تناول في الفصل الأول تعريف عام بالدراسة، في المبحث الأول عرّف الباحث بالدكتور فضل عباس، وفي المبحث الثاني عرّف بكتاب إتقان البرهان في علوم القرآن، أما المبحث الثالث فهو مدخل إلى مفاهيم الدراسة: الترجيح وعلوم القرآن، وفي المبحث الرابع بيّن منهج فضل عباس في الترجيح في مسائل نزول القرآن. وفي المبحث الخامس بيّن معنى نزول القرآن الكريم وأسباب النزول. أما الفصل الثاني فتناول الباحث فيه ترجيحات فضل عباس في تنزلات القرآن وأول ما نزل وآخر ما نزل من الآيات والسور في خمسة مباحث، وفي الفصل الثالث بيّن الباحث ترجيحات فضل عباس فيما يتعلق بتعدد النزول ونزول بعض الآيات في ثلاثة مباحث، ثم ذكر الباحث الخاتمة وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

كما تهدف الدراسة إلى إبراز جهد "فضل عباس" -رحمه الله-، في خدمة القرآن الكريم وعلومه، من خلال التعرف على منهجه في مناقشة قضايا نزول القرآن، ومعرفة ترجيحات فضل عباس في مسائل نزول القرآن في كتابه المذكور، وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن أول دعامة لابد منها لقبول سبب النزول: الرواية الصحيحة، إذا عدت هذه الدعامة، وجب أن يرد هذا السبب، حتى ولو كان مشتهرا، سارت بذكره الركبان. والدعامة الثانية: سلامة الدراية، أما الدعامة الثالثة فتتمثل بالسياق، ويرى الدكتور فضل أن للسياق أثر لا ينكر في ترجيح قبول السبب أورده. ويُوصى الباحث بإجراء المزيد من الدراسات التحليلية حول منهج فضل عباس في الترجيحات، مع التركيز على الأسس التي اعتمدها في كتابه "إتقان البرهان".

**الكلمات المفتاحية:** الترجيحات، المسائل، علوم القرآن.

## المقدمة

فإن من أعظم نعم الله تعالى على هذه الأمة أن جعل القرآن الكريم لها كتاباً، وارتضى الإسلام لها ديناً، واختار النبي الأمي الأمين محمد بن عبد الله لها نبياً ورسولاً، وختم به الأنبياء والمرسلين.

وإن من المتقرر شرعاً وعقلاً أن شرف العلم بشرف المعلوم، وإن من أشرف العلوم علوم القرآن؛ لأنه متعلق بأشرف الكلام ألا وهو كلام رب العالمين، ألا وهو دستورنا "القرآن الكريم".

ولا يزال علماء الإسلام الأفذاذ منذ القرون الأولى يتعاقبون على دراسته، ويصرفون جل أوقاتهم لينهلوا من معينه، ويتزودوا من هدايته.

هذا وإن للعلماء من ذلك أوفر الحظ والنصيب، وخاصة علماء علوم القرآن الذين صرفوا أوقاتهم في تدبره واستخراج درره، فكان لهم من ذلك مؤلفات عظيمة في قدرها ونفعها. ومن أجل ما أُلّف في علوم القرآن وخصوصاً في عصرنا هذا كتاب "إتقان البرهان في علوم القرآن" للدكتور فضل عباس - رحمه الله.

ولكثره الآراء التي نقلها فضل عباس في كتابه هذا عن السابقين لأسباب بينها والتي تحتاج للتحليل والمناقشة، ولكون هذا الكتاب اتسم بالجِدّة والجِدّية كما وصفه مؤلفه. فهذا ما دفع الباحث إلى أن يتناول في دراسته هذه، ترجيحات فضل عباس في مسائل نزول القرآن في كتابه المذكور.

### مشكلة الدراسة:

تظهر مشكلة الدراسة من خلال الإجابة على الأسئلة الآتية:

1- السؤال الرئيسي: ما هي ترجيحات فضل عباس في القضايا المتعلقة بمسائل نزول القرآن التي تناولها

في كتابه "إتقان البرهان في علوم القرآن"؟

2- ما منهج فضل عباس في ذكر ترجيحاته في كتاب إتقان البرهان في علوم القرآن؟

3- ما موقف فضل عباس مقارنة برأي الجمهور في مسائل نزول القرآن في كتابه؟

4- ما رأي الباحث في ترجيحات فضل عباس في مسائل نزول القرآن الكريم؟

## أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأمور، أهمها:

1. إبراز جهد "فضل عباس" -رحمه الله-، في خدمة القرآن الكريم وعلومه، من خلال التعرف على منهجه في مناقشة قضايا نزول القرآن.
2. معرفة ترجيحات فضل حسن عباس في مسائل نزول القرآن في كتابه المذكور.

## أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة من خلال الأهمية الكبيرة لعلوم القرآن، كذلك لقلّة وجود مؤلفات أو دراسات تناولت ترجيحات فضل عباس في كتاب إتقان البرهان في علوم القرآن، حيث يسهم هذا في إثراء المكتبة الإسلامية، كذلك فتح الطريق أمام الباحثين لإجراء المزيد من الدراسات.

## منهجية الدراسة:

اعتمد الباحث في دراسته هذا على المنهج الاستقرائي وذلك باستقراء القضايا المتعلقة بمسائل نزول القرآن التي كان لفضل عباس فيها ترجيحات، والمنهج التحليلي ببيان منهج فضل عباس في ترجيحه لمسائل نزول القرآن من خلال تحليل هذه المسائل الواردة في كتابه إتقان البرهان في علوم القرآن، كما اتبع الباحث المنهج المقارن بين رأي فضل عباس وجمهور العلماء وترجيح ما يراه راجحاً.

## الدراسات السابقة:

- دراسة عبد الحليم بن محمد الهادي بن علي قابة (2018م)، وقفات مع تحقيقات الشيخ الدكتور فضل حسن عباس في كتابه "إتقان البرهان في علوم القرآن": دراسة تطبيقية على فصلي الأحرف السبعة والقراءات القرآنية، والتب تناولت فيها نبذة عن فضل عباس، ونبذة عن كتابه، ووقف على بعض معالم منهجه في الكتاب من خلال تسليط الضوء على الأحرف السبعة والقراءات القرآنية،

وتحدث من وجهة نظره عن بعض الزلات والسقطات التي وقع فيها فضل عباس كما أسماها هو، والبحث فيه فائدة لطالب العلم في مجاله.

- دراسة عبد الكريم علي الخلف (2023م)، اجتهادات معاصرة في علوم القرآن للدكتور فضل حسن عباس من خلال كتابه "إتقان البرهان في علوم القرآن" عرض ونقد، والذي تناول التعريف فيه بكتابي الإتقان للسيوطي والبرهان للزركشي، وبالدكتور فضل عباس وكتابيه "إتقان البرهان" ونبذة عن حياته العلمية، بحث ودرس معظم ترجيحات فضل عباس باختصار ولكنه غفل عن بعضها، بين أنواع علوم القرآن التي تناولها، وأسلوب المؤلف في الكتاب وطريقة عرض المسائل والمباحث وطريقة عرض الشبهات، والكتاب ذو قيمة علمية في علوم القرآن.

## الفصل الأول

### تعريف عام بالدراسة

#### المبحث الأول: التعريف بفضل عباس

"هو الشيخ العلامة المفسر، الأستاذ الدكتور أبو محمد، فضل بن حسن بن أحمد بن آل عباس الصفوري الشافعي"<sup>1</sup>.

وهو أحد أبرز العلماء في الأردن، وأحد العلماء المعدودين في علوم التفسير وعلوم اللغة والبلاغة، برز الدكتور فضل عباس كأحد أهم علماء التفسير والتلاوة، وكان ذلك في السبعينيات حين سجلت له الإذاعة الأردنية 400 حلقة إذاعية في تلاوة وتفسير القرآن الكريم كاملاً، كانت باكورة مسيرته العلمية التي أثمرت فيما بعد نتاجاً كبيراً وهاماً من المؤلفات والنظرات الجديدة في تفسير القرآن الكريم<sup>2</sup>.

مولده ونشأته:

"ولد فضل عباس سنة 1932م في بلدة صفورية في فلسطين، ونشأ على العلم منذ صغره، وأتم حفظ القرآن، وهو ابن عشر سنين ثم حفظ بعض متون العلم، ثم انتقل إلى الدراسة في عكا، ثم توجه إلى مصر ودرس المرحلة الثانوية فيها، ثم درس في كلية أصول الدين في الأزهر الشريف وتخرج فيه، وهو ابن عشرين سنة، وكان أصغر طالب تخرج فيه، ثم تابع دراسته حتى حصل على الدكتوراة في الأزهر سنة 1972م"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الرقب، صالح إبراهيم سليمان، الاتجاه الفقهي عند فضل عباس في تفسيره، عمان، 2019م، ص 17.

<sup>2</sup> انظر: الشيخ، أفنان "محمد عدنان" شريف، القصة القرآنية عند الشيخ فضل عباس رحمه الله، (دراسة تحليلية مقارنة)، اشراف أ. د أحمد سليمان يشار، د ط (2015)، (7/1).

<sup>3</sup> قابة، عبد الحلیم بن محمد، وفتات مع تحقیقات الشيخ الدكتور فضل حسن عباس في كتابه "إتقان البرهان في علوم القرآن": دراسة تطبيقية علي فصلي الأحرف السبعة والقراءات القرآنية، جامعة الملك خالد، المجلد 15، ع2، 2018م (ص 9).

مكانته وعمله الدعوي:

"عرف بأنه موسوعة علم ومعرفة، فقد برز في مجال التفسير وعلوم القرآن واللغة والبلاغة وضرب بسهم وافر في صنوف العلم المختلفة كالفقه، وهذا ظاهر من خلال الآثار الفقهية التي صنفها الشيخ، وعرفه الناس من خلال كتبه ودروسه ومحاضراته في حلقات العلم والمساجد والمننديات العلمية وعرفه طلاب العلم في رحاب المعاهد العلمية والجامعات وقبل ذلك برز الدكتور فضل عباس كأحد أهم علماء التفسير والتلاوة"<sup>1</sup>.

"بقي الشيخ في مصر إلى سنة 1953م حين جاءه نبأ وفاة والده في لبنان فرحل إليها وبقي فيها سنة دون عمل، إلى أن وجد عملاً في صيدا في الأوقاف، فعمل فيها حتى سنة 1956م، وعمل بعد ذلك مع المفتي محمد أمين الحسيني حتى سنة 1965م"<sup>2</sup>.

"رحل فضل عباس إلى الأردن ليعمل واعظاً في عمان سنة 1965م، ثم عيّن مدرساً في كلية الشريعة سنة 1966م، حيث أسند إليه تدريس علوم التفسير والحديث والتوحيد واللغة العربية وتلاوة القرآن الكريم. وانتقل بعد ذلك إلى الإمارات ليعمل هناك بين عام 1975م وعام 1978م ليعود بعد ذلك مدرساً في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية حيث شغل منصب رئيس قسم أصول الدين لفترة طويلة. وبقي في الأردن يلقي الدروس المختلفة في بيته وفي الإذاعات، ويشرف على الرسائل، ويتابع مباحث العلم، ويكمل مشروعاته ومؤلفاته العلمية، إلى يوم وفاته في 9 شباط سنة 2011"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الإبراهيم، محمد عقلة وآخرون، العلامة الدكتور فضل حسن عباس وجهوده في الدراسات القرآنية، مجلة الفرقان، العدد السابع والعشرون، 2003م، ص 19-29.

<sup>2</sup> الجوراني، محمد بن يوسف بن إسماعيل، الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس رحمه الله وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، جامعة العلوم الإسلامية - عمان، 2012م، (28/1).

<sup>3</sup> العلامة الشيخ د. فضل حسن عباس، رابطة العلماء السوريين، الأحد 18 رجب 1445 - 28 يناير 2024، تاريخ الزيارة، 2024/1/15، الموقع الإلكتروني، <https://islamsyria.com/ar> <https://islamsyria.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%A9->

مؤلفاته:

"اتبع فضل عباس رحمه الله تعالى في التأليف منهج العلماء المحققين، فهو لا يكتب في موضوع أو فن إلا إذا وجد حاجة لما يكتبه، ومن أشهر مؤلفاته"<sup>1</sup>: في علوم القرآن الكريم: إعجاز القرآن الكريم، إتقان البرهان في علوم القرآن، في مجلدين. في علوم البلاغة: البلاغة، فنونها وأفنانها، في مجلدين، بلاغتنا المفترى عليها بين الأصالة والتبعية. في الفقه: فقها بين التوسط والتسلط، أنوار المشكاة في أحكام الزكاة.

وفاته:

توفي الشيخ الجليل العلامة فضل عباس أثناء توجهه إلى مكة المكرمة لأداء العمرة قبل ذهابه إلى المطار في عمان، والظاهر أن هذا كرامة للشيخ أن توافيه المنية وهو ينوي ويستعد لأداء العمرة، وصلى عليه الآلاف من تلامذته ومحبيه في مسجد الزميلي في منطقة الجاردنز في عمان بعد صلاة الظهر من يوم الخميس وشيعوه إلى المقبرة الإسلامية في سحاب حيث دفن جثمانه الطاهر. وكانت وفاته يوم الأربعاء 6 ربيع الأول من عام 1432هـ الموافق 9 شباط سنة 2011م عن عمر يناهز 79 سنة، رحمه الله تعالى وجزاه الله عن العلم والدين خير الجزاء<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> قابة، ووفات مع تحقيقات الشيخ الدكتور فضل حسن عباس في كتابه "إتقان البرهان في علوم القرآن": دراسة تطبيقية علي فصلي الأحرف السبعة والقراءات القرآنية، (ص 10).

<sup>2</sup> انظر: قابة، ووفات مع تحقيقات الشيخ الدكتور فضل حسن عباس في كتابه "إتقان البرهان في علوم القرآن": دراسة تطبيقية علي فصلي الأحرف السبعة والقراءات القرآنية، (ص 10).

## المبحث الثاني: التعريف بكتاب (إتقان البرهان في علوم القرآن)

إن كتاب (إتقان البرهان في علوم القرآن) هو كتاب قيم، ألفه فضل عباس، والكتاب مكون من مجلدين، وقد سمي الكتاب بهذا الاسم تيمناً بكتابين شهيرين في علوم القرآن، الكتاب الأول هو البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت: 794هـ)، أما الكتاب الثاني فهو الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت: 911هـ) وهذا ما أشار إليه فضل عباس في كتابه إتقان البرهان<sup>1</sup>.

وكان من أسباب تأليفه لهذا الكتاب غيرته على الدين وعلى القرآن وعلومه، ورد الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام حول القرآن الكريم، وهذا ما قاله في مقدمة كتابه: "يا ذوي الغيرة على دينكم: إن أخطر ما يواجه القرآن شبهات الحدائين العرب، فاقعدوا لهم كل مرصد، وردوا باطل شبهاتهم بحججكم، حجج القرآن"<sup>2</sup> فكان حريصاً على إيجاد كتاب للمسلمين في علوم القرآن حتى ينتفعوا به، فهو كتاب غير تقليدي مثل ما سبقه من مؤلفات في علوم القرآن، ويكأنه لا يؤمن بعبارة: ما ترك السابق للاحق شيئاً.

وألف رحمه الله هذا الكتاب لتعم فائدته على المسلمين، فقد قال الدكتور جمال أبو حسان في تقديمه للكتاب: "وهذا الكتاب لم يؤلفه العلامة لنفسه ولا لأهل بيته، وإنما ألفه ليعم نفعه المسلمين بعامته فلا ينبغي لطالب علم أن يتجافى عنه وقد ملئ تحقيقاً وعلماً"<sup>3</sup>.

حيث وصف الدكتور فضل عباس رحمه الله كتابه بالجدة والجديّة بقوله: "ولقد توخيت في هذا الكتاب الجدة والجديّة، أما الجدة فإني أوقن أن هذا العلم يجب أن يكون علماً متحركاً دائماً مع الزمن في سيره لا يجمد عند زمان معين، أو مكان خاص ... أما الجديّة فأرجو أن يكون أثرها ظاهراً كذلك، فمع إجلالي علمائنا الذين كانت لهم كتابات مشكورة، فإنني لم أنقل كل ما كتبوه على أنه مسلمات لا ينبغي الخروج عنها، ولكنني قبلت ورفضت وناقشت ورجحت ووافقت وخالفت"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> انظر: عباس، أ. د. فضل حسن (ت 2011)، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار النفائس، ط: الرابعة، 2021م، 1442هـ، (13/1)

<sup>2</sup> عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن (4/1).

<sup>3</sup> عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، (8/1).

<sup>4</sup> عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن (12/1 - 13).

طبغات الكتاب<sup>1</sup>:

الطبعة الأولى: طبعة دار الفرقان الأردن 1997م، وعدد صفحاته 980 صفحة، وعدد فصوله ثمانية عشر فصلاً.

الطبعة الثانية: طبعة دار النفائس الأردن 2010م، وعدد صفحاته ما تقارب 1000 صفحة.

الطبعة الثالثة: طبعة دار النفائس الأردن 2019م.

الطبعة الرابعة: طبعة دار النفائس الأردن 2021م.

وقد كانت الطبعة الأولى -طبعة دار الفرقان- محاطة بـمآخذ وثغرات كثيرة، حيث كان الكتاب في طبعته الثانية -طبعة دار النفائس- مختلفاً تماماً من حيث الشكل والمظهر ومن حيث المضمون والموضوع، كما أن هناك فرقاً كبيراً في هيكل الكتاب في طبعته الأولى والطبعة الثانية، فالثانية أكثر جودة وأناقة ومظهراً جميلاً ووضوحاً، وأما من حيث المضمون فقد كان الكتاب في طبعته الأولى مشتملاً على ثمانية عشر فصلاً وفي الطبعة الثانية بضعة وعشرون فصلاً، زيد عليها فصل في لغة القرآن الكريم وما يتصل بها من موضوعات متعددة مثل الغريب والمترادف والمعرب وآراء العلماء فيه وفصول أخرى متعددة،<sup>2</sup> وقد اعتمدت في دراستي على الطبعة الرابعة وهي طبعة دار النفائس بالأردن من الكتاب لأنها أتم وأوفى وأحسن.

وقد حظي كتابه هذا على إعجاب العلماء به وأثنى محبو فضل عباس على كتابه فكان منهم الدكتور جمال أبو حسان وهو أحد تلامذته حيث قال: "إن يكن كتاباً حقيقاً أن ينال مرتبة أن يقال فيه إنه كتاب القرن في علوم القرآن فهو هذا الكتاب"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> انظر: عباس، أ. د. فضل حسن (ت 2011)، إتيان البرهان في علوم القرآن، دار النفائس، ط: الرابعة، 2021م، 1442هـ، (مجلدان)، الاول(501صفحة) والثاني(447صفحة).

<sup>2</sup> انظر: عباس، إتيان البرهان في علوم القرآن (9/1-10).

<sup>3</sup> عباس، إتيان البرهان في علوم القرآن (8/1).

"ومن الأدلة على العلم الواسع لديه نقله لما كتبه السابقون مع الموازنة والترجيح في الكثير من الأحيان، وفي هذا دلالة واضحة على حضور شخصيته العلمية في هذا الكتاب. كما أنه قام بإيراد شبهات المستشرقين وفندها في كثير من أبواب الكتاب وخاصة باب الوحي، ونزول القرآن، وجمع القرآن، وترجمة القرآن وغيرها في هذا الكتاب. وهو ما ميز الكتاب عن غيره من كتب علوم القرآن. وكما أن له كتاب آخر جيد في بابه هو كتاب (قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية) ناقش فيها أباطيل كثيرة وردت في مادة (قرآن) في الموسوعة البريطانية، أوردها المستشرقون وتلاميذهم"<sup>1</sup>.

"كذلك فإن الحديث في آخر الكتاب ومن الجديد في الكتاب حديثه في آخره عن شبهات المستشرقين المشهورين دي بور، ودوزي، وفنسك. كما كتب عن ثلاثة من دعاة الحداثة ورموز العلمانية من العرب وهم نصر حامد أبو زيد، ومحمد شحرور، ومحمد أركون. وقلَّ أن تجد من كتب في علوم القرآن مناقشة شبهات هؤلاء وخاصة الثلاثة المتأخرين وأمثالهم فما أكثرها وأخبثها!، فالكتاب نفيس، ويستحق الدراسة"<sup>2</sup>.  
ومن المزايا التي يتميز بها الكتاب<sup>3</sup>:

أولاً: أن الكتاب استوعب مباحث علوم القرآن باختلاف أنواعها إلا بعض المباحث القليلة، لم يعرض لها أصلاً، أو لم يخصص لها مباحث خاصة كغيره ممن كتب في علوم القرآن. ثانياً: امتاز الكتاب بحسن العرض والترتيب والتبويب وسلاسة الأسلوب ووضوح العبارة. ثالثاً: خصص الشيخ فصولاً خاصة تعتبر من صميم علوم القرآن، وذات أهمية لم يتعرض لها غيره ممن كتب في علوم القرآن كموقف الحداثيين من القرآن وغير ذلك. رابعاً: ركز الكتاب على مجموعة من الشبهات التي تتعلق بعلوم القرآن بشكل مفصل مع العلمانيين والحداثيين الجدد بعرض أقوالهم ومناقشتها ودحضها. خامساً: احترام مؤلفه لأهل العلم الذين سبقوه في الكتابة في علوم القرآن مع عدم التسليم لهم فيما يرى الصواب في خلافه. سادساً: إضافاته وتحقيقاته وتمحيصه المسائل وما فيه من نفس التحقيق الذي لا يكاد يخلو منه مبحث من كتابه.

<sup>1</sup> قابة، وفتات مع تحقيقات الشيخ الدكتور فضل حسن عباس في كتابه "إبّان البرهان في علوم القرآن": دراسة تطبيقية علي فصلي الأحرف السبعة والقراءات القرآنية، ص33.

<sup>2</sup> مرجع سابق، ص34.

<sup>3</sup> مرجع سابق، (ص 12-14).

## المبحث الثالث: تعريف الترجيح لغة واصطلاحاً

"الترجيح لغة: الرَّاجِحُ: الوازِنُ. وَرَجَحَ الشَّيْءَ بِيَدِهِ: رَزَنَهُ وَنَظَرَ مَا ثَقُلَهُ. وَأَرَجَحَ الْمِيزَانَ أَي أَثْقَلَهُ حَتَّى مَالَ.<sup>1</sup> وَأَرَجَحْتُ لِفُلَانٍ، وَرَجَّحْتُ تَرْجِيحاً، إِذَا أَعْطَيْتَهُ رَاجِحاً".<sup>2</sup> أما اصطلاحاً عرّف الترجيح بأنه "إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر".<sup>3</sup> وعرّف أيضا "بأنه عبارة عن بيان فضل أحد المثلين على الآخر بحسب الوصف لا بكثرة الأدلة".<sup>4</sup>

أركان الترجيح:

للترجيح أركان أربعة هي:<sup>5</sup>

الركن الأول: وجود دليلين: راجح، ومرجوح.

الركن الثاني: وجود المزية في أحد الدليلين المتعارضين، وهو المرجح به.

الركن الثالث: وجود المجتهد الذين يرجح أحدهما على الآخر.

الركن الرابع: بيان المجتهد فضل ومزية الدليل الذي يريد ترجيحه على الآخر.

شروط الترجيح:

ليس كل ترجيح بين دليلين متعارضين يصح، بل إن للترجيح الصحيح شروطاً هي كما يلي:<sup>6</sup> الشرط

الأول: أن يتعذر الجمع بين الدليلين المتعارضين، فإن أمكن الجمع فلا يصح ترجيح أحدهما على الآخر.

الشرط الثاني: أن يكون الدليلان ظنيين، حيث إنه لا تعارض أصلاً بين دليلين قطعيين، وبين دليل

قطعي، ودليل ظني، وبالتالي لا ترجيح هنا، بل لا بد أن يكون بين ظنيين؛ لأنهما قابلان للتفاوت. الشرط

<sup>1</sup> ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.3، 1993م (2/ 445).

<sup>2</sup> الفارابي، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت(393هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط.4، 1407هـ-1987م (1/ 364)

<sup>3</sup> الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت 816)، التعريفات، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط.1، 1403 هـ - 1983م، ص (56/1).

<sup>4</sup> النكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، 2000م (1/ 197).

<sup>5</sup> انظر: النملة، عبد الكريم بن علي بن محمد، المذهب في علم أصول الفقه المقارن، مكتبة الرشد-الرياض، ط.1، 1999م، (5/ 2423).

<sup>6</sup> النملة، المذهب في علم أصول الفقه المقارن (5/ 2424).

الثالث: أن يكون الدليلان متساويين في الحجية؛ فلا يصح ترجيح ما كان حُجَّةً على ما ليس بحُجَّة، بل لا يسمى ذلك ترجيحاً أصلاً. الشرط الرابع: أن يعلم المجتهد تحقق شروط المعارضة بين الدليلين. الشرط الخامس: أن يكون المرجح قويا، بحيث يجعل المجتهد يغلب على ظنه أن أحد الدليلين أقوى من الآخر.

## المبحث الرابع: معالم عامة لمنهج فضل عباس في الترجيح في مسائل نزول القرآن

"فضل عباس يعتبر أحد أبرز علماء السنة في الأردن وفلسطين، وعُرف بعلمه الغزير في التفسير وعلوم اللغة والبلاغة. نشأ في بيئة علمية ساعدته على حفظ القرآن الكريم منذ صغره، تميز بأسلوبه السلس في العرض، واعتمد منهجاً فريداً في الترجيح بين الأقوال، حيث كان يختار الرأي الذي يراعي المأثور واللغة والسياق، كما ركّز على ارتباط القرآن الكريم بواقع المسلمين، مؤكداً أنه كتاب الله الحي. كان له دور كبير في نشر العلم من خلال دروسه ومحاضراته"<sup>1</sup>، ومن مميزات منهج فضل عباس في الترجيح في مسائل نزول القرآن ما يلي:

أولاً: أنه كان ينتهز من كلام أهل العلم ويتلطف في الرد عليهم خاصة كونهم شيوخه، ويتضح ذلك من خلال تحدثه عن مصدر القراءات، حيث قال تعليقاً على كلام شيخه عبد الوهاب حمودة "ومصادر القراءات في الجملة خمسة حسبما ذكر الأستاذ الشيخ عبد الوهاب حمودة رحمه الله وهي... فذكر خمسة مصادر"، ثم قال بعد ذلك "ورحم الله شيخنا فإن هذه كلها ترجع إلى سبب واحد، وما ذكره الشيخ رحمه الله- لا يخرج في حقيقة الأمر عن حديث الأحرف السبعة، فإن تحاكم الصحابة إلى الرسول ﷺ، كان الحديث فيه صريحا "نزل القرآن على سبعة أحرف"، هذا إذا كان الحديث عن القراءات المتواترة، أما إذا كان الحديث عن جميع القراءات فإن كلام الشيخ رحمه الله- له وجهة<sup>2</sup>. من هذا الكلام يظهر أدب ولطف الدكتور فضل عباس مع شيخه المذكور.

ثانياً: اشترط سلامة المتن والسند حتى يقبل الحديث، وظهر ذلك بتصريحه حين ذكر ثلاث روايات وآثار استغلها بعض المستشرقين للطعن في القرآن وقراءاته، فقال عند مناقشتها: "إذا كان سند الحديث يجب أن تتوفر له الشروط لكي يقبله العلماء فإن متن الحديث حري بأن يكون كذلك"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الشيخ، افتان "محمد عنان" شريف، القصة القرآنية عند الشيخ فضل عباس - رحمه الله - (دراسة تحليلية مقارنة)، اشراف: أ، د، أحمد سليمان البشايرة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، د. ط، 2015م، ص26.

<sup>2</sup> عباس، فضل، اتقان البرهان، ج2 (113-116).

<sup>3</sup> عباس، اتقان البرهان في علوم القرآن (74-72/2).

ثالثاً: "تناول فضل عباس -رحمه الله- خلال دراسته علوم القرآن عدة نواحي، وأمور كثيرة مهمة لكل من يدرس العلم الشرعي، فله رصيد علمي في التفسير، حيث يعتبر رائداً في دراسة علوم القرآن، فقد رسم منهجاً علمياً يستند إلى قواعد ومبادئ ليساعد الدارسين، تعتمد على الدقة، والاستقصاء، وحسن العرض، ودون أن يطغى جانب على آخر، ودون أن يطيل إطالة مملة وبهذا فقد أجاد وأفاد - رحمه الله"<sup>1</sup>.

رابعاً: تميز منهج فضل عباس بالتوسع عند ذكر المسألة، وإضافة أقوال وأمثلة للائمة، كما ظهر في مبحث هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب، فينقل قولاً للإمام ابن تيمية مفاده: "أن عمومات الكتاب والسنة لا تختص بالشخص نفسه، بل تعم ما يشبهه"<sup>2</sup>، ثم يعقب على ذلك: فيقول: "وبعد هذا ندرك أن ما ذكره السيوطي من قبله الزركشي -رحمهما الله تعالى- من أن هناك آيات نزلت في أشخاص معينين وهي خاصة بهم، لا تتجاوزهم إلى غيرهم غير مقنع"<sup>3</sup>.

خامساً: كان فضل عباس حريصاً على تحكيم كتاب الله تعالى في ترجيحاته، حيث قال في كتابه: "والقرآن الكريم كتاب الفصل والإحكام والبيان، إذا أجاب بإجابته الفاطمة الجامعة المانعة، والله أعلم بما ينزل"<sup>4</sup>.

سادساً: حرص فضل عباس -رحمه الله- في دراسته لعلوم القرآن على الالتزام بالمصادر الموثوقة أولها القرآن الكريم ثم الأحاديث النبوية الصحيحة؛ فقد حرص على اعتماد الأحاديث الصحيحة إن وجدت في توجيه وترجيح الكثير من القضايا، فهي المؤكدة لما جاء في القرآن وهي المبينة والموضحة لما أجمله القرآن، وقد أحسن فضل عباس في الجمع بينهما -القرآن والسنة- وهو ما كان ظاهراً في منهجه من خلال الكتاب حيث قال في مسألة تنزلات القرآن: "إن الذي أجمعت عليه الأمة إجماعاً مستنداً إلى السنة الصحيحة وإلى الكتاب الكريم هو أن القرآن نزل على سيدنا محمد ﷺ في رمضان". كما قال في مسألة أول سورة تامة نزلت: "ومع تسليمنا بأن أول سورة تامة نزلت من القرآن الكريم هي الفاتحة، لكن الذي نراه

<sup>1</sup> الشيخ، القصة القرآنية عند الشيخ فضل عباس - رحمه الله - (دراسة تحليلية مقارنة) ص 261.

<sup>2</sup> ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط. 1980م، (47).

<sup>3</sup> عباس، إتيان البرهان، (368/1).

<sup>4</sup> عباس، إتيان البرهان، (333/1).

أن هذا الجمع متكلف، ذلك لأن المعول عليه صحة الرواية". وكذلك ذكر في مبحث آخر ما نزل من الآيات فقد قال: "وهذه الروايات كما قلت من قبل ليس فيها رواية مرفوعة إلى رسول الله سيدنا محمد ﷺ بل كلها موقوفة على الصحابة رضي الله عنهم"<sup>1</sup>.

سابعاً: عرض فضل عباس -رحمه الله- مسائل علوم القرآن وناقش ملتزماً الأدب مع من يخالفه في الرأي ورجح وجدد في الأمثلة، وكان له رأي في النسخ وفي أسباب النزول وغيرها، وكان يناقش ويرجح بين الروايات والآراء، فقد وجدنا الدكتور فضل في مبحث أسباب النزول قد أطل الحديث، ولكنه أتى فيه بالجديد والمفيد، وكان يتحرى الدقة والموضوعية، وهذا ما يلحظ عند رده لقول رشيد رضا عند طعنه في الرواية الواردة في سبب نزول قوله تعالى: {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ}، وهي في صحيح البخاري حيث قال فضل عباس: "ومع إجلائنا للشيخ رشيد، وإفادتنا منه، ودعائنا له أن يجزيه الله عن الإسلام والقرآن خيراً، فإننا لا نستطيع أن نقبل منه هذا القول، فالحديث في صحيح الإمام البخاري كما رأينا، ثم ما المانع أن يكون قوله: {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ}، نزل بعد كلام ابن مكتوم رضي الله عنه ... إنَّ رد الأحاديث الصحيحة، لأسباب ترتكز على أذواق الناس من الأمور الخطيرة، وبخاصة إذا كانت لا تتعارض مع صريح النقل، وصحيح العقل"<sup>2</sup>.

ثامناً: "اهتم فضل عباس في دراسته لعلوم القرآن بإبراز أهمية اللغة العربية، ومكانتها في تفسير كتاب الله، حيث نزل القرآن بلسان عربي مبين، وجاء بأساليبه البيانية، ونظمه البديع، وبلاغته العظيمة، وكثيراً ما نجده يقف عند المفردات القرآنية، فيفسرها بالرجوع إلى معانيها اللغوية، ومعرفة أوجه اللغة فيها، وهو أمر ضروري في اختيار ما يناسب النص القرآني، وكذلك دراسته زاخرة بإبراز الجوانب البيانية، والبلاغية في القرآن، وله وقفات تستحق التقدير والإعجاب"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عباس، إتيان البرهان، (102،119،124/1).

<sup>2</sup> عباس، مرجع سابق، (363/1).

<sup>3</sup> الشيخ، افنان محمد عدنان شريف، القصة القرآنية عند الشيخ فضل عباس - رحمه الله - (دراسة تحليلية مقارنة)، ص264.

تاسعاً: لا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا أن فضل عباس كان مجدداً في بعض مباحث علوم القرآن ومنها كلامه عن أسباب النزول، قال رحمه الله: " دعائم القبول لأسباب النزول هذا مبحث أرجو أن يكون كثير الفوائد، جم المنافع، متعدد الثمرات، جيد التحقيق، فلا تعجبوا -أرشدكم الله- إن وجدتم فيه ما لا يوافق ما ألفتموه، ويتعارض مع ما عرفتموه". ثم ذكر ثلاثة دعائم لقبول السبب: الدعامة الأولى: الرواية الصحيحة، فإن كانت الرواية غير صحيحة، وجب أن يرد السبب مهما كانت شهرته. الدعامة الثانية: سلامة الدراية، والمراد بها ألا يكون المتن مناقضاً لقواعد النقل والعقل. الدعامة الثالثة: السياق، ويرى الدكتور فضل أن للسياق أثراً لا ينكر في ترجيح قبول السبب أو رده. فقد أورد الدكتور فضل في كتابه مثالا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة:189] أخرج البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية فينا، كان الأنصار إذا حجوا فجاؤوا، لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه، فكأنه غير بذلك فنزلت<sup>1</sup>.

عاشراً: تميز منهج فضل عباس في كتابه برد المتعارض مع قواطع الدين، من ذلك رفض الروايات التي تسيء للصحابة رضي الله عنهم، ورفض الأدلة التي تغلق باب التوبة فالله يقبل توبة الكافر والمترد، حيث أورد الكثير من الأمثلة في الكتاب منها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ﴾ [الحجر:24] جاء عن ابن عباس أنه قال: كانت تصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم امرأة حسناء في أول النساء، وكان بعضهم يتقدم الصف الأول لئلا يراها، وكان بعضهم يكون في آخر الصفوف، فإذا ركع قال هكذا، ونظر من تحت إبطه، فنزلت. فقد قال الدكتور فضل: "وهذا السبب باطل رواية، ودراية، وسياقاً، فليس فيه أي دعامة من دعائم القبول لأسباب النزول، فالرواية غير صحيحة، ثم هي مردودة دراية كذلك؛ لأن فيها إساءة للصحابة رضوان الله عليهم، أما من حيث السياق فليس لها أي وزن، ذلك أن الآية مكية باتفاق، وصلاة الجماعة إنما كانت بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم..."<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عباس، إتيان البرهان، (343/1).

<sup>2</sup> عباس، إتيان البرهان، (358/1-359).

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة:75]، قيل أنها نزلت في ثعلبة، يوم جاء النبي ﷺ وسأله أن يدعو الله له بالرزق، فدعا له النبي ﷺ وكثر ماله، وخرج من المدينة لكثرة ماله، ومنع الزكاة، فنزلت فيه هذه الآية، فلما علم بنزولها جاء بزكاته فلم يقبلها النبي ﷺ ، ثم جاء بها أبا بكر وعمر رضي الله عنهم بعد وفاة النبي ﷺ فلم يقبلها أحد فقد قال فضل عباس: "وهذه الرواية مع شهرتها ليست صحيحة من حيث الرواية، ثم هي مخالفة قواطع الإسلام وأصول العقيدة، فباب التوبة لا يغلط كما نعلم، والله يقبل توبة الكافر والمرتد"<sup>1</sup>.

إحدى عشرة : كان فضل عباس حريصاً على تقديم الدليل النقلى الصحيح على الدليل العقلي إذا تعارضاً وضبط العقل بالدليل النقلى وهو ما أشار إليه عند حديثه عن أول سورة نزلت بقوله: "مع وجاهة ما ذهب إليه الإمام - يعني - محمد عبده- من حيث الدليل العقلي، فإن ذلك يمكن أن يقبل إذا لم يتعارض مع النص الصريح، وحديث السيدة عائشة في صحيح البخاري، لا ينبغي أن يقدم عليه قول"<sup>2</sup>.

وأشار إلى ذلك أيضاً عند حديثه عن القول بتعدد النزول: فقال "والحق أنّ الحجج العقلية التي ذكرها أولئك المثبتون لا يمكن التسليم بها البتة، وإنما قلت: الحجج العقلية، لأنه ليست هناك حجة نقلية واحدة تثبت هذه الدعوى"<sup>3</sup>.

إثنتا عشرة : كان فضل عباس حريصاً على قيام الحجة العلمية والبعد عن الهوى، حيث ورد في كتابه في مبحث تنزيلات القرآن بعض الأمثلة على ذلك منها: قوله "فإنّ ابتداء الإنزال في الشهر الكريم والليلة المباركة معناه إنزال بعض الآيات، وإنما اخترت هذا القول لما يلي..."<sup>4</sup>.

ثلاث عشرة : كما تميز بجرأته في رد وإبطال المسائل التي لم تثبت بأدلة صحيحة حتى لو تناقلها العلماء واشتهرت لديهم ما دامت لم تثبت بأدلة قطعية صحيحة صريحة في دلالتها، حيث أبطل مسألة أن الكتب

<sup>2</sup> عباس، مرجع سابق، (1/358-359).

<sup>2</sup> عباس، مرجع سابق، (1/119).

<sup>2</sup> عباس، مرجع سابق، (1/134).

<sup>3</sup> عباس، إتيان البرهان، (1/101-102).

الساوية نزلت جملة واحدة وذلك بعكس نزول القرآن الكريم منجماً، فقال رحمه الله تعالى "أما الكتب  
الساوية فقد اشتهر أنها نزلت جملة واحدة، وليس لدينا دليل صحيح قطعي نركن إليه في هذه القضية،  
بل هي أدلة احتمالية منها أدلة استتبطها بعض العلماء من القرآن الكريم نفسه، ومنها آثار لا يمكننا  
التعويل عليها أو الركون إليها"<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> عباس، مرجع سابق، (109/1).

## المبحث الخامس: معنى نزول القرآن الكريم وأسباب النزول

النزول في اللغة بمعنى الحلول<sup>1</sup>، وبالتالي يتضح أن معنى النزول هنا من قبيل الاستعارة التصريحية الأصلية بأن يشبه إعلام السيد لعبده بإنزال الشيء من علو إلى سفلى بجامع أن في كل من طرفي التشبيه صدوراً من جانب أعلى إلى جانب أسفل وإن كان العلو والسفل في وجه التشبه حسياً بالنسبة إلى المشبه به ومعنوياً بالنسبة إلى المشبه<sup>2</sup>، والإنزال للقرآن هو بمعنى الإعلام وذلك من وجوه ثلاثة<sup>3</sup>:

أحدها: أن تعلق الكلام تعلق دلالة وإفهام ولا ريب أن القرآن كلام فتأويل إنزاله بالإعلام رجوع إلى ما هو معلوم من تعلقه ومفهوم من تحققه. ثانيها: أن المقصود من ثبوت القرآن في اللوح وفي سماء الدنيا وفي قلب النبي ﷺ هو إعلام الخلق في العالمين العلوي والسفلي بما شاء الله دلالة البشر عليه من هذا الحق. ثالثها: أن تفسير الإنزال بالإعلام ينسجم مع القرآن بأي إطلاق من إطلاقاته وعلى أي تنزل من تنزلاته.

سبب النزول:

"من المعلوم أن القرآن لم ينزل جملة واحدة على رسول الله ﷺ وإنما نزل منجماً مفرقاً على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، وقد نزل قسم كبير من آياته وسوره على أسباب خاصة من حوادث وقعت أو أسئلة وُجِيت إلى النبي ﷺ، كما نزل قسم كبير من القرآن ابتداءً على غير أسباب خاصة"<sup>4</sup>.

"ونزول القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداءً وقسم نزل عقب واقعة، أو سؤال؛ أي: لإثر سبب خاص"<sup>5</sup>. ويمكن أن نوضح هذا التعريف بقولنا إن سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثاً عنه أو مبيّنةً لحكمه أيام وقوعه. حيث أن الآية أو الآيات قد تنزل مثلاً لتفصل بين متخاصمين وقع بينهما شجار، أو تكشف عن مكيده صنعها بعض المنافقين، أو تتحدث عن مقولة قالها أحد المشركين، أو ترفع شبهة أدلى

<sup>1</sup> الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، القاموس المحيط، تج: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط. 8، 1426 هـ - 2005 م، (134/2).

<sup>2</sup> الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، (42/1).

<sup>3</sup> الزرقاني، مرجع سابق، (1/42).

<sup>4</sup> إسماعيل، محمد بكر، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط. 2، 1999م، (ص: 152).

<sup>5</sup> القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، دار المعرفة للنشر، د. ط. د. ت (ص: 78).

بها أحد المغرضين، أو تزيل ريبًا وقع فيه بعض المؤمنين، أو تَبَّتْ في شكوى توجَّه بها إلى النبي ﷺ -  
بعض المظلومين، أو تجيب عن سؤال، أو تمنّى صدر عن واحد أو أكثر من المسلمين أو المشركين<sup>1</sup>.

وأما فوائد معرفة أسباب النزول، فهي كثيرة، منها<sup>2</sup>: "معرفة حكمة الله تعالى على التعيين فيما شرعه بالتنزيل وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن. والاستعانة على فهم الآيات ودفع الإشكال عنها. ودفع توهم الحصر عما يفيد بظاهرة الحصر. وتخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ. وبيان سبب النزول طريق قوي من فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا. وتثبيت الوحي، وتيسير الحفظ والفهم، وتأكيد الحكم في ذهن من يسمع الآية، إذا عرف سببها؛ وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات، والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص، والأزمنة والأمكنة، كل ذلك من دواعي تقرر الأشياء؛ وانتقاشها في الذهن، وسهولة استذكارها عند تذكر ما يقارنها، وذلك هو فيما يعرف في علم النفس بقانون «تداعي المعاني».

مثال على أسباب النزول<sup>3</sup>:

هناك الكثير من الآيات التي نزلت بسبب حادثة معينة، ومن الأمثلة على أسباب النزول، ما رواه البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214] ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: «يا صباحاه» فقالوا: من هذا؟، فاجتمعوا إليه، فقال: «أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» قال أبو لهب: تبا لك، ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1] وقد تب، هكذا قرأها الأعمش يومئذ باب قوله: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: 2]<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> إسماعيل، محمد بكر، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط.2، 1999م، (ص: 152).

<sup>2</sup> الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (1/ 109-113). أبو شهية، محمد بن محمد بن سويلم، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبة السنة -القاهرة، ط.2، 2003م، (ص: 136-143).

<sup>3</sup> الحمودي، عبد الستار جبر غايب، علم أسباب نزول القرآن دراسة تاريخية، ط، الأولى 2014م، بغداد، ديوان الوقف السني ص (28).

<sup>4</sup> البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة إذا جاء نصر الله، باب قوله "وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب"، تج: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق نجا، ط.1، 1422هـ، (4/1902)(4687).

## الفصل الثاني

ترجيحات فضل عباس في تنزلات القرآن وأول ما نزل وآخر ما نزل من الآيات والسور

### المبحث الأول: تنزلات القرآن الكريم

"أنزل الله القرآن على رسولنا محمد ﷺ لهداية البشرية، فكان نزوله حدثاً جليلاً يؤذن بمكانته لدى أهل السماء وأهل الأرض، فإنزاله الأول في ليلة القدر أشعر العالم العلوي من ملائكة الله بشرف الأمة المحمدية التي أكرمها الله بهذه الرسالة الجديدة لتكون خير أمة أخرجت للناس، وتنزيله الثاني مفرقاً على خلاف المعهود في إنزال الكتب السماوية قبله أثار الدهشة التي حملت القوم على المماراة فيه، حتى أسفر لهم صبح الحقيقة فيما وراء ذلك من أسرار الحكمة الإلهية، فلم يكن الرسول -ﷺ- ليتلقى الرسالة العظمى جملة واحدة ويقنع بها القوم مع ما هم عليه من صلف وعناد، فكان الوحي يتنزل عليه تباعاً تثبيتاً لقلبه، وتسلياً له، وتدرجاً مع الأحداث والوقائع حتى أكمل الله الدين، وأتم النعمة"<sup>1</sup>.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185]. ويقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1] ويقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ﴾ [الدخان: 3]. حيث اتفق المفسرون على كون أن هذه الآيات تفسر بعضها بعضاً، حيث نزل في ليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة، ولا يوجد تعارض بين هذه الآيات الثلاث، فالليلة المباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان، إنما يتعارض ظاهراً مع الواقع العملي في حياة رسول الله ﷺ حيث نزل القرآن عليه في ثلاث وعشرين سنة،<sup>2</sup> ولكنهم اختلفوا بعد ذلك في مدة النزول، وكيفية على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: وهو الذي قال به ابن عباس وجماعة وعليه جمهور العلماء:

<sup>1</sup> القطان، مناع بن خليل (ت 1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط.3، 1421هـ-2000م، (ص:100).

<sup>2</sup> القطان، مباحث في علوم القرآن (ص: 100).

"أن نزول القرآن في الآيات الثلاث السابقة يراد به نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا تعظيماً لشأنه عند الملائكة، ثم نزوله منجماً على رسولنا محمد ﷺ - في ثلاث وعشرين سنة حسب ما جرى من وقائع وأحداث منذ بعثته إلى أن توفي صلوات الله وسلامه عليه، حيث أقام في مكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة بعد الهجرة عشر سنوات"<sup>1</sup>، "فمن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين"<sup>2</sup>. وهذا المذهب هو الذي جاءت به الأخبار الصحيحة عن ابن عباس في عدة روايات"<sup>3</sup>:

عن ابن عباس قال: "أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، ثم قرأ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:33]، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:106]."<sup>4</sup>

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ"<sup>5</sup>.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه في إثر بعض"<sup>6</sup>.

المذهب الثاني: ما روي عن الشعبي: أن ابتداء نزول القرآن كان في ليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة، واستمر نزوله ثلاثاً وعشرين سنة منجماً، فهذا الرأي يتبنى أن القرآن له نزول واحد وهو

<sup>1</sup> حويه، محمد عمر، نزول القرآن الكريم وتاريخه وما يتعلق به، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ط1، د.ت (ص: 26).

<sup>2</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ (1416/3) (3689).

<sup>3</sup> مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (ص: 101).

<sup>4</sup> الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمويه، المستدرک على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1411 - 1990، باب التفسير (2/242) (2879). حديث صحيح على شرطهما، انظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، تح: زهير بن ناصر الناصر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 1994م، (127/7).

<sup>5</sup> الحاكم، المستدرک على الصحيحين، باب التفسير (2/242) (2881). حديث صحيح، انظر: ابن حجر، إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، (127/7).

<sup>6</sup> الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب نزول القرآن، باب التفسير (2/242) (2878). حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه، انظر: ابن حجر، إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، (127/7).

نزوله منجماً حسب الوقائع والأحداث لقوله تعالى ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ

تَنْزِيلًا ﴿١٥٦﴾ [الإسراء 106].<sup>1</sup>

وهناك مذهب ثالث: يقول أن القرآن الكريم نزل في ثلاث وعشرين ليلة قدر، إلى السماء الدنيا، في كل ليلة قدر ينزل ما يلزم للرسالة سنة كاملة منجماً<sup>2</sup>.

ترجيح فضل عباس في مسألة تنزلات القرآن الكريم:

الذي رجحه فضل عباس أن للقرآن تنزلاً واحداً وهو نزوله على النبي ﷺ في ليلة القدر في شهر رمضان، وأن المراد بقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: 1] أي ابتدأنا إنزاله، وذلك بإنزال الآيات الأولى من سورة العلق، وقد استدل على ذلك بما يلي:<sup>3</sup>

"أولاً: أن القول بأن القرآن الكريم أنزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر في رمضان، لم يصل إلينا من كتاب أو سنة صحيحة وإنما وردت آثار موقوفة على ابن عباس رضي الله عنهما وهي تحتاج إلى تمحيص من حيث أسانيدھا. والقول بأن مثل هذا لا يمكن أن يكون رأياً لابن عباس غير مسلم، فقد يكون ابن عباس فهم الآية هذا الفهم إن صحت هذه الأقوال عنه. ثانياً: يلزم على القول إن القرآن الكريم أنزل في شهر رمضان دفعة واحدة إلى السماء الدنيا، عدم نزوله على سيدنا محمد ﷺ في رمضان لأنهم يرون أن الذي ذكرته الآيات في حديثها عن نزول القرآن في رمضان هو نزوله دفعة واحدة إلى السماء الدنيا، وهذا غير مسلم به فالذي أجمعت عليه الأمة بالاستناد إلى السنة الصحيحة والقرآن الكريم هو نزوله على سيدنا محمد في رمضان. ثالثاً: إن المتدبر للآية يجزم بما لا يحتمل شكاً أنها

<sup>1</sup> انظر: القطان، مباحث في علوم القرآن، ص(102-103).

<sup>2</sup> وبه قال الشعبي. وقال ابن حجر في شرح البخاري: والأول: هو الصحيح المعتمد. وقد حكى الماوردي قولاً رابعاً؛ أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة، وأن الحفظه نجّمته على جبريل في عشرين ليلة، وأن جبريل نجّمه على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة، وهذا أيضاً غريب، والمعتمد أن جبريل كان يعارضه في رمضان بما ينزل به عليه في طول السنة. وقال أبو شامة: كأن صاحب هذا القول أراد الجمع بين القولين الأول والثاني. قال السيوطي: هذا الذي حكاه الماوردي أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك، عن ابن عباس قال: نزل القرآن جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجّمته السفرة على جبريل عشرين ليلة، وجمعه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وعشرين سنة. انظر: القطان، مباحث في علوم القرآن (ص 102).

<sup>3</sup> عباس، اتقان البرهان في علوم القرآن، (1/101).

تحدث عن نزول القرآن على النبي ﷺ، وحين نتدبر هذه الآية ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:185]، فلو كان المقصود نزوله إلى سماء الدنيا لم يكن هناك فائدة من قوله هدى للناس إنما الأمر الذي يطمئن إليه القلب وتستريح إليه النفس هو أن القرآن نزل على سيدنا محمد ﷺ هدى للناس. رابعاً: أن الله تبارك وتعالى يمن علينا بالهداية بأن كرمنا بهذا الإيمان، قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِّلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات:17] وهذه المنة تتحقق بإنزال القرآن لنتعظ منه ونعتبر، وهذا أمر غير متحقق بنزوله إلى سماء الدنيا، وإنما يتحقق بإنزاله على رسول الله ﷺ".

رأي الباحث في مسألة تنزلات القرآن الكريم:

من خلال مما سبق يتبين للباحث أن للقرآن نزولين: النزول الأول: نزول القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في السماء السابعة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، والنزول الثاني: نزوله منجماً على الرسول ﷺ في ثلاث وعشرين سنة. ويدل على ذلك ما نص عليه قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:106]. ويضاف إلى هذا الدليل القرآني الصريح، أنه قد ثبت ثبوتاً قاطعاً في السنة والسيرة النبوية أن القرآن لم ينزل على رسول الله جملة واحدة، وإنما نزل مفزقاً خلال مدة بعثته المباركة والتي قدرت بثلاثة وعشرين عاماً تقريباً، فالقرآن كان ينزل بحسب الحاجة، خمس آيات وعشراً، وأكثر وأقل، وقد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة<sup>1</sup>. فالقرآن الكريم جمع نزوله بين الشرفين: - نزوله جملة في عالم السماء، ونزوله منجماً في عالم الأرض، للأدلة سالفة الذكر عن ابن عباس وهو رأي جمهور العلماء.

وملخص الأمر أنني أميل إلى رأي جمهور العلماء، الذين استدلوا بما ورد عن ابن عباس من عدة طرق، وقد تلقى الجمهور كلام ابن عباس بالقبول، وإني أخالف ما ذهب إليه فضل عباس من أن ابن عباس قال

<sup>1</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، (4/1517) (3910).

ذلك برأيه، ويبدو لي أن ذلك بعيد جداً، فكيف يصل إلى هذا برأيه إلا أن يكون تلقاه من الرسول ﷺ والله تعالى أعلى وأعلم.

## المبحث الثاني: أول ما نزل من القرآن

اختلف في أول ما نزل من القرآن على أقوال:

القول الأول: أول ما نزل من القرآن الكريم صدر سورة العلق: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ [العلق: 1-5]،<sup>1</sup> وهو ما ذهب إليه السيوطي<sup>2</sup>.

ودليل ذلك ما رواه البخاري عن عائشة قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حباب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة رضي الله عنها فتزوده لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ قال رسول الله ﷺ: فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق: 1] حتى بلغ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره ...<sup>3</sup>

القول الثاني: أن سورة المدثر هي أول سورة نزلت: "يا أيها المدثر....."<sup>4</sup>.

ودليل ذلك ما رواه البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ①﴾ [المدثر: 1] فقلت: أنبئت أنه ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق: 1]، فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ: إني جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت

<sup>1</sup> النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (ت 468هـ)، أسباب النزول، ت: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية-بيروت، ط.1، 1411هـ، (ص12).

<sup>2</sup> السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين (ت 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1394هـ/ 1974 م، ص (1/ 91).

<sup>3</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة العلق، (4/ 1894) (4670).

<sup>4</sup> أيوب، حسن محمد، (الحديث في علوم القرآن والحديث)، دار السلام - الإسكندرية، ط.2، 1425 هـ - 2004 م، (ص: 41).

الوادي، فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض -يعني جبريل- فأخذتني رجفة، فأتييت خديجة فقلت: دثروني دثروني، وصبوا علي ماءً بارداً، فأنزل علي: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّتُّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝﴾ [المدثر: 1-4]<sup>1</sup>.

وأجاب القائلون بالقول الأول"- أن صدر سورة العلق أول ما نزل - عن هذا الحديث بأن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإندار، وعبر بعضهم عن هذا بقوله: أول ما نزل للنبوة اقرأ باسم ربك وأول ما نزل للرسالة يا أيها المدثر، ويدل على ذلك حديث جابر: فإذا هو يعني جبريل، وذلك يدل على أنه رآه قبل هذه المرة"<sup>2</sup>.

ويرى الباحث أن حديث جابر يدل على أول ما نزل بعد أن فتر الوحي عن رسول الله ﷺ أول سورة المدثر وذلك بعد أن نزلت الآيات الأولى من سورة اقرأ، وذلك في الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها، فموضوع سورة المدثر فيه تهديد ووعيد للمشركين فليس هذا من المعقول أن تبدأ به النبوة لأن في ذلك تنفيراً لهم والله تعالى أعلم.

القول الثالث: أن أول ما نزل من القرآن سورة الفاتحة<sup>3</sup>.

واستدلوا على ذلك بما "روى الواحدي بسنده عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، فقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً، فقالت: معاذ الله، ما كان الله ليفعل بك، فوالله إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث. فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت: اذهب مع محمد إلى ورقة، فانطلقا فقص عليه فقال: إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد يا محمد، فانطلق هارباً في الأرض. فقال: لا تفعل، إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقال،

<sup>1</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله (وربك فكبر) (6/ 162)(4924).

<sup>2</sup> أيوب، حسن محمد، (الحديث في علوم القرآن والحديث)، (ص: 41).

<sup>3</sup> النبهان، حمد فاروق، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن - حلب، ط.1، 1426 هـ - 2005 م، (ص: 101).

ثم انتني فأخبرني، فلما خلا ناداه: يا محمد قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾  
حتى بلغ: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: 1 - 7]<sup>1</sup>.

القول الرابع: أول ما نزل من القرآن هي البسمة<sup>2</sup>.

"ما أخرجه الواحدي بإسناده عن عكرمة والحسن قالوا أول ما نزل من القرآن: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ [الفاتحة: 1] أخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس قال: كان جبريل عليه السلام إذا أتى رسول الله ﷺ ببسم الله الرحمن الرحيم عرف رسول الله ﷺ أنها سورة ختمت واستقبل السورة الأخرى.<sup>3</sup>"

"يقول السيوطي في الإتيان: "وعندي أن هذا لا يعد قولاً برأسه فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسمة معها فهي أول آية نزلت على الإطلاق."<sup>4</sup>

وفي هذا إشارة إلى قناعته وثبوت وصحة الرأي الذي يقول أن أول ما نزل من القرآن صدر سورة العلق وأن البسمة تحصيل حاصل مع جميع السور عدا براءة.

لذا يرى صاحب كتاب مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن من خلال ما تقدم ذكره في الأقوال الواردة في أول سورة نزلت من القرآن الكريم أن الصحيح على الإطلاق هو صدر سورة العلق، قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عَلَقٍ ﴿٣﴾ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٤﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٥﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٦﴾﴾ [العلق: 1-5].<sup>5</sup> وذلك لعدة أسباب<sup>6</sup>:

<sup>1</sup> الأجرى، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله، الشريعة، باب كيف نزل عليه الوحي ﷺ، تح: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان النميجي، دار الوطن-الرياض، ط.2، 1999م، (3/ 1442) (973).

<sup>2</sup> النبهان، المدخل إلى علوم القرآن الكريم (ص: 102).

<sup>3</sup> البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت 458هـ)، شعب الإيمان، فصل في ابتداء السورة بالتسمية سوى سورة (براءة)، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسبوني زغول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1421هـ-2000م، (2/ 439)، (2332).

<sup>4</sup> السيوطي، (الاتقان في علوم القرآن)، (1/ 95).

<sup>5</sup> عبد الجواد، خلف محمد عبد الجواد، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، ط، دار البيان العربي- القاهرة، د.ط، د.ت، (1/ 178).

<sup>6</sup> عبد الجواد، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، بتصرف، (ص: 179).

أولاً: كثرة الروايات التي أشارت إلى ذلك مع صحتها. ثانياً: في كل سور القرآن الكريم وردت الاستعاذة والبسمة باستثناء سورة براءة لخصوصيتها في ذلك، وبذلك تكون البسمة تحصيل حاصل في كل السور، فهي أول آية على الإطلاق كما يقول السيوطي " فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسمة معها فهي أول آية نزلت على الإطلاق"<sup>1</sup>. ثالثاً: عدم وجود تعارض بين الأحاديث المذكورة، فحديث عائشة رضي الله عنها - وهو صريح في أن أول نزول للقرآن الكريم كان في غار حراء، وأن أول ما نزل منه هذه الآيات الخمس من أول سورة العلق. وحديث جابر - رضي الله عنه - وهو خلاف ذلك، حيث جعل صدر سورة المدثر: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُدَّثِرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: 1-5]، أي أن أول ما نزل من الوحي الكريم هو (اقرأ) ثم فتر الوحي بعد ذلك مدة على ما هو معلوم من كتب السيرة، فكان أول ما نزل بعد فتور الوحي هو (يا أيها المدثر قم فأندثر)، فالمراد هنا أولوية مخصوصة لا أولوية مطلقة. رابعاً: وأما بالنسبة لمن يقول أن سورة الفاتحة هي أول سورة نزلت فنقول له قول "القاضي أبو بكر في الانتصار": وهذا الخبر منقطع"<sup>2</sup>.

لذلك يقول القطان: "وأثبت الأفاويل: {أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} ويليه في القوة: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُدَّثِرُ ۝١﴾ [المدثر: 1] وطريق الجمع بين الأفاويل أن أول ما نزل من الآيات: {أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} وأول ما نزل من أوامر التبليغ: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُدَّثِرُ ۝١﴾ [المدثر: 1] وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة"<sup>3</sup>.

ترجيح فضل عباس في مسألة أول ما نزل من القرآن:

ذهب فضل عباس إلى أن أول ما نزل على الإطلاق من القرآن الكريم هو الآيات الأولى من سورة العلق، وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي هو الآيات الأولى من سورة المدثر، وأن أول سورة نزلت تامة هي سورة الفاتحة.

<sup>1</sup> السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، (95/1)

<sup>2</sup> القطان، (مباحث في علوم القرآن)، (68).

<sup>3</sup> القطان، مرجع سابق، (68).

ومما أورد فضل عباس في كتابه من أقوال قول من قال " إن (المدثر) هي أول سورة نزلت بتمامها، وقال بعضهم إنها أول سورة نزلت بسبب، وقال قوم إنها أول سورة نزلت تأمر بالإنذار فسورة (اقرأ) جاءت لإثبات نبوته ﷺ وسورة المدثر كانت في إثبات رسالته عليه الصلاة والسلام، وقال آخرون إنها أول سورة نزلت بعد فترة الوحي. وهذه الأقوال حري بها أن تناقش فمنها ما لا يصح، والقول بأن أول سورة نزلت بتمامها سورة (المدثر) قول غير صحيح نقلاً وعقلاً، وما ورد في بقية الأقوال يلمح فيه التكلف، فليس هناك سبب يضطره للأخذ بها، ويكمل رأيه رحمه الله بقوله: " فنستطيع أن نجمع بين الروایتين لإزالة التعارض والتناقض ثم أكمل قائلاً: "والمتدبر للروایتين السابقتين يحمل إحداهما على الأخرى، فالرواية الثانية، تبين لنا صراحة أن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- كان يتحدث عن فترة الوحي، ومعنى هذا أن سورة "اقرأ" هي أول سورة نزلت، ثم فتر الوحي بعدها، وبعد الفترة نزلت أوائل سورة المدحتر، فلا إشكال. وعلى هذا فلا تعارض بين الروایتين، رواية جابر وعائشة، والقول بأن جابراً قال اجتهاداً قول مردو حيث يرجح فضل عباس أن أول ما نزل على الإطلاق هو الآيات الأولى من سورة اقرأ" <sup>1</sup>.

رأي الباحث أول ما نزل من القرآن:

من خلال ما سبق يتبين لدى الباحث أن أول ما أنزل من القرآن صدر سورة العلق ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝۱ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝۲ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝۳ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝۴ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝۵﴾ [العلق: 1-5]، ويدل على ذلك ما في حديث عائشة الذي في الصحيحين حيث يبين أن أول ما نزل " اقرأ باسم ربك " نزلت عليه وهو في غار حراء، وأن أول ما نزل بعد فترة انقطاع الوحي هو صدر سورة المدثر ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝﴾ [المدثر: 1-5] وليس هناك ما يدل أن سورة المدثر نزلت بتمامها وهذا ما اتضح من رواية جابر المذكورة، وأن أول سورة تامة نزلت هي سورة الفاتحة كما رجح فضل عباس لما أخرجه الواحدي بإسناده عن عكرمة والحسن قالوا أول ما نزل من القرآن: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝﴾ [الفاتحة: 1] أخرج

<sup>1</sup> . عباس، اتقان البرهان في علوم القرآن، ص (119-122) وانظر: الزركشي، (البرهان في علوم القرآن)، (1/206-207).

ابن جرير وغيره عن ابن عباس قال: كان جبريل عليه السلام إذا أتى رسول الله ﷺ ببسم الله الرحمن الرحيم عرف رسول الله ﷺ أنها سورة ختمت واستقبل السورة الأخرى.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت 458هـ)، شعب الإيمان، فصل في ابتداء السورة بالتسمية سوى سورة (براءة)، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1421هـ-2000م، (2/439) (2332).

## المبحث الثالث: آخر سورة نزلت

كما اختلف العلماء في أول سورة نزلت، اختلفوا أيضا في آخر سورة نزلت، وعلى رأي القاضي الباقلاني في الانتصار، أن الأقوال الواردة في هذه المسألة ليس فيها شيء مرفوع وإنما هي من باب الاجتهاد وتغليب الظن لكل من تكلم في آخر سورة نزلت، وقد تكون بحسب ما توصل إليه اجتهاده عندما أجاب، كأن يكون آخر ما سمعه من الرسول ﷺ قبل موته، ثم سمع غيره شيئا آخر بعده، واعتبر العلم بأول وآخر ما نزل من القرآن ليس من فرائض الدين حتى نطعن بمن أخطأ بإجابته<sup>1</sup>، وبيان ذلك الاختلاف في الآتي:

القول الأول: سورة النصر<sup>2</sup>.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عبيد الله بن عبد الله أنه قال: قال لي ابن عباس: تَعَلَّمْ، أَخْرَجَ سُورَةَ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، قَالَ: صَدَقْتُ<sup>3</sup>.

القول الثاني: سورة براءة

فذكر البراء بن عازب -رضي الله عنه- أن آخر سورة نزلت هي سورة التوبة؛ إذ أخرج البخاري عنه قوله: "وَأَخْرَجَ سُورَةَ نَزَلَتْ بَرَاءَةً"<sup>4</sup>. وفي رواية أخرى عن البراء وآخر سورة نزلت كاملة براءة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> انظر: الباقلاني، القاضي أبو بكر، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، (ت403هـ) (الانتصار للقرآن)، تج: د. محمد عصام القضاة، ط دار الفتحة -عمان ، درا ابن حزم -بيروت 1422هـ-2001م ، عدد الاجزاء : 2 ، (238/1).

<sup>2</sup> السيوطي، الإتيان في علوم القرآن (3/367).

<sup>3</sup> مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ت(261هـ)، صحيح مسلم، كتاب التفسير، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374 هـ-1955، (2318/4) (3024).

<sup>4</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة براءة، باب قوله براءة من الله ورسوله، (64/6) (4654).

<sup>5</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حج أبي بكر بالناس في سنة تسع، (167/5) (4364).

## القول الثالث: سورة المائدة<sup>1</sup>

ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها سورة المائدة فقد روي أنها قالت لجبير بن نفير: "يا جبير، هل تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، فقالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من خلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرّموه".<sup>2</sup>

ترجيح فضل عباس في آخر سورة نزلت:

رجح الدكتور فضل عباس "أن آخر سورة نزلت تامة هي سورة النصر كما جاء في الأحاديث عن عمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنها نعت إلى النبي ﷺ بأبي هو وأمي - نفسه، فقد روى البخاري عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثلهم فقال عمر إنه من قد علمتم فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما ربيته أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم قال ما تقولون في قول الله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرتنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً فقال لي أذكالك تقول يا ابن عباس فقلت لا قال فما تقول قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً فقال عمر ما أعلم منها إلا ما تقول"<sup>3</sup>. وعلى هذا القول بأن آخر سورة نزلت سورة براءة أو سورة المائدة لا يؤخذ على إطلاقه البتة.

أما سورة براءة فقد نزل أكثرها في غزوة تبوك وكانت في السنة التاسعة من الهجرة وسيدنا رسول الله ﷺ انتقل إلى الرفيق الأعلى في السنة الحادية عشرة. وأما سورة المائدة فيظهر أنها نزلت في أزمنة متباعدة وموضوعات مختلفة، وهذا بالطبع لم ينزل كله دفعة واحدة. أما سورة النصر فهي سورة قصيرة، والتحقيق

<sup>1</sup> الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (1/ 99).

<sup>2</sup> الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك (ت 321هـ)، شرح مشكل الآثار، باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ في سورة المائدة هل هي آخر سورة أنزلت أم لا، ح: 2498، تج: شعيب الانطاوي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ-1994م، (6/ 304). حديث حسن غريب، انظر: الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف، تخريج أحاديث الكشاف، دار ابن خزيمة - الرياض، ط1، 1414هـ، (377/1).

<sup>3</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوبة، باب قوله فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً تواب على العباد والتواب من الناس التائب من الذنب (4686/8/606).

أنه ليس في السور المدنية من قصار السور إلا هذه السورة، وسورة الكوثر على الأرجح، جل الله منزل هذا الكتاب" <sup>1</sup>.

رأي الباحث في آخر سورة نزلت:

من خلال ما سبق يتبين لدى الباحث أن آخر ما نزل كسورة كاملة سورة النصر ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 1] والتي تخبر بقرب أجل رسول الله صلى الله وسلم.

ويدل على ذلك "ما رواه مسلم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قال لي ابن عباس تعلم آخر سورة نزلت من القرآن نزلت جميعاً قلت نعم إذا جاء نصر الله والفتح قال صدقت" <sup>2</sup>. كما روى البخاري عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر إنه من قد علمتم فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما ربيته أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم قال ما تقولون في قول الله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً فقال لي أكذلك تقول يا ابن عباس فقلت لا قال فما تقول قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً فقال عمر ما أعلم منها إلا ما تقول" <sup>3</sup>.

ويكون الباحث بهذا الرأي قد وافق فضل عباس فيما ذهب إليه في أن آخر سورة كاملة نزلت هي سورة النصر والله تعالى أعلم.

<sup>1</sup> عباس، اتقان البرهان في علوم القرآن، ص (130).

<sup>2</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب التفسير، باب نزول القرآن (4/ 2318) (3024).

<sup>3</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: "فسبح بحمد ربك" (6/ 179) (4970).

## المبحث الرابع: أول ما نزل من الآيات

أن أول ما نزل من القرآن الآيات الأولى من سورة العلق، وهي قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[العلق:1-5]، ودليل ذلك ما يلي<sup>1</sup>:

حديث عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي، الذي رواه البخاري ومسلم وفيه "فجاءه الملك فقال: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[العلق:1-5]<sup>2</sup>، قال النووي: هذا دليل صريح في أن أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: {اقرأ} وهذا هو الصواب -والكلام للنووي- الذي عليه الجماهير من السلف والخلف<sup>3</sup>.

ما رواه أبو رجا العطاردي، قال: كان أبو موسى يطوف علينا في هذا المسجد، فيقعدنا حلقة حلقة يقرئنا القرآن، وعنده أخذت هذه السورة اقرأ باسم ربك الذي خلق وكانت أول سورة نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>4</sup>.

وقد رد الإمام السيوطي رحمه الله في كتابه الإلتقان على من يقول بعكس هذا من نزول غير الآيات الأولى من سورة اقرأ أولاً، بناء على الخلاف في الفهم الذي نشأ من حديث عائشة رضي الله عنها وحديث جابر رضي الله عنه، حيث رد بخمسة ردود وهي<sup>5</sup>:

أحدها: أن السؤال كان عن نزول سورة كاملة فبين أن سورة المدثر نزلت بكاملها قبل نزول تمام سورة اقرأ فإنها أول ما نزل منها صدرها. ويؤيد هذا ما في الصحيحين أيضاً عن أبي سلمة عن جابر: سمعت

<sup>1</sup> الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.1، 1376هـ-1957م، (1/207).

<sup>2</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب أول ما بدئ به، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (140/1)(252).

<sup>3</sup> البخاري، (صحيح البخاري)، كتاب تفسير القرآن، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (7/1)(3)، والنووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت 676هـ)، شرح النووي على صحيح مسلم، دار احياء التراث العربي-بيروت، ط.2، 1392هـ، ص (199/2).

<sup>4</sup> الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، د. ط. 1394هـ-1974، ص (1/257).

<sup>5</sup> السيوطي، الإلتقان في علوم القرآن، (93-94/1).

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: بينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء على كرسي بين السماء والأرض فرجعت فقلت: زملوني زملوني فذرني فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ [المدثر: 1] فقوله: "الملك الذي جاءني بحراء" يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التي نزل فيها: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: 1]. ثانيها: أن مراد جابر بالأولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة. ثالثها: أن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار وعبر بعضهم عن هذا بقوله أول ما نزل للنبوة: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: 1]، وأول ما نزل للرسالة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ [المدثر: 1].

رابعها: أن المراد أول ما نزل بسبب متقدم وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب وأما اقرأ فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم ذكره ابن حجر. خامسها: أن جابراً استخرج ذلك باجتهاده وليس هو من روايته فيقدم عليه ما روته عائشة. قاله الكرمانى.

والحكمة في هذه الأولية -كما قال ابن حجر-: إن هذه الآيات الخمس اشتملت على مقاصد القرآن، ففيها براعة الاستهلال، وهي جديرة أن تسمى "عنوان القرآن" لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله. وبيان كونها اشتملت على مقاصد القرآن أنها تتحصر في علوم التوحيد والأحكام والأخبار، وقد اشتملت على الأمر بالقراءة والبداة فيها بسم الله، وفي هذه الإشارة إلى الأحكام. وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته، وفي هذا إشارة إلى أصول الدين. وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 5]<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن (1/ 61).

ترجيح فضل عباس في مسألة أول ما نزل من الآيات:

أورد فضل عباس في كتابه ما ذكره السيوطي من أقوال في أول ما نزل، وتتمثل هذه الأقوال في الآتي<sup>1</sup>:

القول الأول: الآيات الأولى من سورة اقرأ ودليله حديث عائشة أم المؤمنين أنها قالت: "أول ما بُدئ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ؛ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَنَحْنُتُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ - وَيَتَرَوَّدُ لَذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَنُرْوَدُهُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجَّهَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّلَاثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} حَتَّى بَلَغَ {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: 1-5]. فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي، فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوعُ، فَقَالَ: يَا خَدِيجَةُ، مَا لِي؟ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، وَقَالَ: قَدْ حَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا، أَتَيْسِرُ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْرِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ؛ أَحُو أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيُّ ابْنِ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ وَرَقَةُ: ابْنُ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَى، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا، أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟ فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ؛ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْسَبْ وَرَقَةَ أَنْ تُؤْفَى. وَفَنَرَ الْوَحْيِ".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> فضل عباس، اتقان البرهان، ص 116-199.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي على رسول الله ﷺ، (7/1) حديث رقم (3).

القول الثاني: "يا أيها المدثر" وقد ورد في ذلك روايتان:

الأولى: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: فبينما أنا أمشي اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر، قم فأنذر إلى قوله: والرجز فاهجر، فحمي الوحي.<sup>1</sup>

الثانية: عن يحيى بن أبي كثير سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: {يا أيها المدثر}، فقلت: أو {اقرأ}؟ فقال: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: {يا أيها المدثر}، فقلت: أو {اقرأ}؟ قال جابر: أخذتكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: جاؤرت بحراء شهرا، فلما قصيت جوارى نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فؤديت فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أر أحدا، ثم ئؤديت فنظرت فلم أر أحدا، ثم ئؤديت فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء، يعنني جبريل عليه السلام، فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت حديجة، فقلت: دبروني، فدبروني، فصبوا علي ماء، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ [المدثر: 1-4].<sup>2</sup>

أما القول الثالث: فاتحة الكتاب، واستدل القائلون به بما أخرجه الواحدي عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا برز مناديا يناديه: "يا محمد" فإذا سمع الصوت انطلق هاربا فقال له ورقة بن نوفل: إذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع ما يقول لك، قال: فلما برز سمع النداء: "يا محمد" فقال: لبيك، قال: قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، ثم قال: قل: "الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين.. " حتى بلغ "ولا الضالين" وهو حديث مرسل.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، (7/1) حديث رقم (4).

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (ودا ولا سواعا) (161/6) حديث رقم (4922).

<sup>3</sup> الواحدي، اسباب النزول (19/1).

القول الرابع: "بسم الله الرحمن الرحيم"، وهذا القول ضعيف رواية ودراية، فأما ضعفه رواية فلأنه ليس فيه رواية متصلة يعول عليها، وأما ضعفه دراية، فإنه لا يعقل أن تكون هذه الآية وحدها أول ما ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم".<sup>1</sup>

حيث يقول فضل عباس رحمه الله: "وعلى هذا نخلص من هذا كله، إلى أن أول ما نزل على الإطلاق هو الآيات الأولى من سورة اقرأ"<sup>2</sup>.

رأي الباحث في مسألة أول ما نزل من الآيات:

من خلال ما سبق يتبين للباحث أن أول ما أنزل قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]. وهي الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، وبهذا يكون الباحث قد وافق فضل عباس في رأيه في المسألة. ويدل على ذلك ما رواه البخاري عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبُد- الليالي نواتٍ العَدَدِ قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: " فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: 1-3] ﴿فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمَلُونِي زَمَلُونِي» فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَاِنْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَنْتَ

<sup>1</sup> السيوطي، الاتقان، (95/1).

<sup>2</sup> فضل عباس، اتقان البرهان في علوم القرآن، ص (122/1).

بِهِ وَرَقَّةُ بْنُ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنِ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَتَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ  
الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ  
خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدًّا، لَيْتَنِي  
أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ  
رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَرَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْسَبْ وَرَقَةَ أَنْ تُؤْفَى،  
وَقَتَرَ الْوَحْيِ".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب كيف بدء الوحي مع الرسول صلى الله عليه وسلم، باب بدء الوحي (1/7) (3).

## المبحث الخامس: آخر ما نزل من الآيات

هناك عدة أقوال في آخر ما نزل من الآيات بيانها على النحو الآتي:<sup>1</sup>

الأول: أن آخر ما نزل قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]. فقد أخرج البخاري في صحيحه: "آخر ما نزل من القرآن كله ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ وعاش النبي بعد نزولها تسع ليال ثم مات لليلتين خلتا من ربيع الأول"2.

الثاني: آخر ما نزل آية الربا، لما أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: "آخر آية نزلت آية الربا" والمراد بها قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 278].<sup>3</sup>

الثالث: أن آخر ما نزل آية الدين في سورة البقرة وهي قوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضَلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ ضَعِيفًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 282]. وهي أطول آية في القرآن، أخرج ابن جرير عن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن

<sup>1</sup> القطان، مباحث في علوم القرآن، (ص 69).

<sup>2</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب موكل الربا (59/3)، (2085).

<sup>3</sup> البخاري، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب موكل الربا (33/6) (2090).

أحدث القرآن عهداً بالعرش آية الدين<sup>1</sup>، أخرج أبو عبيد في الفضائل<sup>2</sup> عن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا وآية الدين، ويمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة ما قاله السيوطي<sup>3</sup> وذكره الزرقاني في مناهل العرفان<sup>4</sup> من أن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف لأنها في قصة واحدة، فأخبر كلٌّ عن بعض ما نزل بأنه آخر وذلك صحيح. ويؤكد صاحب كتاب دراسات في علوم القرآن بقوله: ولكن النفس تستريح إلى أن آخر هذه الثلاثة نزولاً هو قول الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]. وذلك لأمرين:<sup>5</sup>

أحدهما: ما تحمله هذه الآية في طياتها من الإشارة إلى ختام الوحي والدين بسبب ما تحدث عليه من الاستعداد ليوم المعاد وما تنوّه به من الرجوع إلى الله واستيفاء الجزاء العادل من غير غبن ولا ظلم، وذلك كله أنسب بالختام من آيات الأحكام المذكورة في سياقها.

ثانيهما: التصييص في رواية ابن أبي حاتم<sup>6</sup> على أن النبي ﷺ عاش بعد نزولها تسع ليال فقط، ولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله.

الرابع: أن آخر القرآن نزولاً قول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾ [آل عمران 195]. ودليل هذا القول ما أخرجه الحاكم من طريق مجاهد عن أم سلمة أنها قالت: آخر آية نزلت هذه الآية: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا أَلْكَفَرْنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلَتْهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْقَوَابِ﴾ [آل عمران 195]<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> احمد، مسند احمد (20720) (315/2) قال الاباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته مرسل صحيح الاسناد.

<sup>2</sup> الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، فضائل القرآن للقاسم بن سلام، تحقيق: مروان العطية، دار ابن كثير، ط. I، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ص 145.

<sup>3</sup> السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، (299/4).

<sup>4</sup> الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، (97/1).

<sup>5</sup> إسماعيل، دراسات في علوم القرآن (ص: 39).

<sup>6</sup> سبق تخريجها.

<sup>7</sup> الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب اخر ما نزل، باب ومن سورة آل عمران (328/ 2) (3174). حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرج.

الخامس: أن آخر آية نزلت هي، قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: 176] وهي خاتمة سورة النساء. واستند صاحب هذا الرأي إلى ما يرويه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب أنه قال: آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ وآخر سورة نزلت براءة<sup>1</sup>.

السادس: ما رواه سعيد بن جبير، قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة، فرحلت فيها إلى ابن عباس فسأله عنها، فقال: " نزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: 93] هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء<sup>2</sup>.

السابع: أن آخر ما نزل هو خاتمة سورة براءة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]. رواه الحاكم<sup>3</sup>، عن أبي بن كعب، ويمكن نقضه بأنها آخر ما نزل من سورة براءة لا آخر ما نزل مطلقاً، ويؤيده ما قيل من أن هاتين الآيتين مكيتان بخلاف سائر السورة، ولعل قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلَى اللَّهِ﴾ [التوبة: 129]. يشير إلى ذلك من حيث عدم الأمر فيه بالجهاد عند تولي الأعداء وإعراضهم.

الثامن: أن آخر ما نزل هو آخر سورة الكهف: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]. أخرجه ابن جرير<sup>4</sup>، عن معاوية بن أبي سفيان قال ابن كثير: هذا أثر مشكل، ولعله أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها بل هي مثبتة محكمة، وهو يفيد أنها آخر مقيد لا مطلق<sup>5</sup>.

التاسع: بعض من الآية الثالثة من سورة المائدة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، رغم أن المقصود بكمال الدين وتمام النعمة هنا، إظهار الإسلام

<sup>1</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حج أبي بكر الصديق ﴿ (5/ 168) (4364).

<sup>2</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ومن يقتل مؤمناً متعمداً (6/ 47) (4590).

<sup>3</sup> الحاكم، المستدرک على الصحيحين، (3335) (266/4).

<sup>4</sup> الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب اخر ما نزل، باب حديث عبد الله بن يزيد الانصاري (2/ 122) (2527). صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه.

<sup>5</sup> ابن كثير، تفسير ابن كثير (205/5)

عليه وسلّم- يوم عرفة في حجة الوداع، حيث تمكن المسلمون من إتمام الركن الخامس من أركان الدين، وأداء مناسك الحج والطواف بالمسجد الحرام، دون أن يشاركهم في ذلك غيرهم من المشركين<sup>1</sup>.

"وقد أوصل السيوطي في الإتيان الأقوال بشأن آخر ما نزل من القرآن إلى عشرة. وهذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلّم-، وكلّ قال ما قاله بضرب من الاجتهاد، وغلبة الظن، ويحتمل أن كلّاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي -صلى الله عليه وسلّم- في اليوم الذي مات فيه، أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو"<sup>2</sup>.

يقول القطان: "وهذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ وكل قال بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن، ويحتمل أن كلّاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من الرسول، أو قال ذلك باعتبار آخر ما نزل في تشريع خاص"<sup>3</sup>.

ترجيح فضل عباس في مسألة آخر ما نزل من الآيات<sup>4</sup>:

ذكر فضل عباس مجموعة من الروايات المشتهرة التي وردت في آخر ما نزل من الآيات على النحو الآتي: أولاً: آخر آية نزلت آية الربا، قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة:278] ولأن هذه الآية متصلة بآيات الربا وهي تذكر بالرجوع إلى الله وتوفية كل نفس ما كسبت، وهذا مناسب أن يختم به الوحي. وهذا ما ذهب إليه الإمام العظيم البخاري رضي الله عنه، حيث قال مترجماً في صحيحه باب "واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله"، وذكر بالإسناد إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: "آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية الربا"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> السيوطي، الاتقان (78/1)

<sup>2</sup> معيد، محمد، نفحات من علوم القرآن (ص 30).

<sup>3</sup> القطان، مباحث في علوم القرآن (ص: 71).

<sup>4</sup> عباس، اتقان البرهان في علوم القرآن (1/ 124 - 129).

<sup>5</sup> أخرجه البخاري، كتاب التفسير (سورة البقرة) باب "واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله" رقم 55، صحيح البخاري، رقم الحديث (4270) (2/734).

ثانياً: آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: 176]. قال فضل عباس أنها من آخر ما نزل وليس آخر ما نزل ويدل على ذلك ما جاء عن سيدنا عمر رضي الله عنه، وقد كان يكثر السؤال عن الكلاله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: تكفيك آية الصيف<sup>1</sup>.

ثالثاً: آخر آية نزلت قوله سبحانه ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: 93]. فقد قال فضل عباس فيها أن ما جاء عن ابن عباس واضح بأنها ثابتة الحكم ولا يفهم منه أنها آخر آية في القرآن الكريم؛ لأن سياق الحديث يوجب هذا الفهم.

رابعاً: آخر آية نزلت ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: 128]. وقال فضل عباس إن هذه الآية مخالفة لما جاء عن ابن عباس في صحيح البخاري (أي في الرأي الثالث) وقد أخذ بها جمهور العلماء.

خامساً: آخر آية نزلت ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ﴾ [آل عمران: 195] وقال فضل عباس إنها جاءت من ضمن العشر آيات من أواخر سورة آل عمران، وهي ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأها عند قيامه من نومه قبل صلاة الليل فلا يعقل أن تكون هذه آخر آية نزلت؛ لأنها من ضمن الآيات العشر.

سادساً: ما رواه الطبري في تفسيره عن معاوية أن آخر ما نزل ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: 110]<sup>2</sup>، ورد فضل عباس على ذلك بقول ابن كثير في تفسيره: "لعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها، ولا تغير حكمها، بل هي مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فرؤى بالمعنى على ما فهمه والله أعلم"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلاله، (16173035) (1236/3).

<sup>2</sup> ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة (4205) (1261/2).

<sup>3</sup> ابن كثير، تفسير ابن كثير (110/3).

وإتمام تشريعاته وأحكامه وآدابه، وليس تمام الوحي، ويؤيد ذلك أن هذه الآية نزلت على النبي -صلى الله  
سابعاً: "كما ذكر فضل عباس أن مما اشتهر من آخر ما نزل هو قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ  
دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3]، حيث ظن كثير من الناس بأن  
هذا كان آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم بوحي السماء، ومن المقطوع به أن هذا الجزء من الآية  
الكريمة نزل في حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة، وعاش النبي بعد نزولها مدة ثلاثة أشهر،  
والمقطوع به كذلك أن هناك آيات نزلت بعدها، فقد ذهب العلماء إلى أنها آخر آية نزلت في الأحكام ولا  
يتنافى ذلك مع أن ينزل بعدها آيات في الوعظ والتذكير، ويرى أنه نزل بعد هذه الآية الكريمة آيات في  
الأحكام.

ومما ذكره فضل عباس أن آخر آية نزلت هي آية الربا في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة:278]، وقوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة:281] فأشار  
أن هذه الآية وردت متصلة اتصالاً تاماً بآية الربا، لذا جعلهما بعض العلماء قولين وكلاهما مروى عن  
ابن عباس رضي الله عنهما والأولى أن يكونا قولاً واحداً، وهذا ما ذهب إليه الإمام البخاري رضي الله عنه  
فالآية تذكر بالرجوع إلى الله وتوفية كل نفس ما كسبت وهذا مناسب أن يختم به الوحي، حيث ختم  
فضل عباس قائلاً: "وبعد هذا التطواف الطيب الذي انتشر عقبه وأضاء أفاقه مع تلك الأحاديث الطيبة لا  
يسعنا إلا أن نقرر "والله أعلم بما نزل" أن أصح الأقوال في آخر آية نزلت هو الذي فيه آيات الربا وما  
بعدها من قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا  
يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:281]."

رأي الباحث في مسألة آخر ما نزل من الآيات:

بعد عرض الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم والنظر فيها، والتأمل في جملة هذه الأخبار  
وكثرة الأقوال المذكورة في آخر ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق، يظهر جلياً أنه ليس في هذا

الشأن أحاديث مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما هي آثار مروية عن الصحابة والتابعين أدركوها من مشاهدة التنزيل، أو تنوع الأحوال التي حضروها، فقد يسمع أحدهم ما لا يسمع الآخر، أو يغلب على ظن أحدهم ما لا يغلب على ظن الآخر فيكون حاصل القول من أحدهم بضرب من الاجتهاد أو غلبة الظن، فكثرت الأقوال والاحتمالات ودواعي الاشتباه من غير أن يقطع برأي، ومن خلال ما سبق يتبين لدى الباحث أن آخر ما نزل من القرآن الكريم على أرجح الأقوال هو قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]. فلم يكن بين وفاته ﷺ وبين نزول هذه الآية سوى تسع ليالٍ فقط، وجاءت هذه الآية شاملة لأمر العقيدة وتقوى الله، واليوم الآخر، والحساب، والعدل. وبهذا وافق الباحث رأي فضل عباس في المسألة والله أعلى وأعلم.

## الفصل الثالث

### ترجيحات فضل عباس فيما يتعلق بتعدد النزول ونزول بعض الآيات

#### المبحث الأول: ما نزل مكرراً

"من المعلوم أن بعض آيات وسور القرآن الكريم قد نزلت أكثر من مرة، سواء كان ذلك في مكة أو المدينة، ويُحتمل أن تكرر النزول يعود لتكرار السبب أو الحاجة، أو لأهمية الآية في سياق معين زماناً أو مكاناً. كما أن تكرر النزول قد يكون من باب التعظيم والتذكير عند تجدد السبب، خشية نسيانه"<sup>1</sup>.

"مثال ذلك ما ذكر عن سورة الفاتحة أنها نزلت مرتين: في مكة ثم في المدينة. وكذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود عن ابن مسعود: أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيئَاتٍ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: 114]، فقال الرجل: يا رسول الله، ألي هذا؟ قال: «لجميع أمّتي كلهم»<sup>2</sup>. وهذا حصل في المدينة، رغم أن سورة هود مكية، مما يدل على تكرر نزول الآية. ومثله ما ورد عن سؤال اليهود للنبي ﷺ عن الروح في المدينة، فنزل قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: 85]، مع أن سورة الإسراء مكية، مما يدل على إعادة إنزال الآية للتذكير بالحكم عند تجدد السؤال. وقد تكرر نزول آية "قل هو الله أحد" لتكون ردًا على المشركين في مكة، ثم ردًا على أهل الكتاب في المدينة، وهذا يؤكد أن إعادة النزول ترتبط بالحاجة والسبب. والحكمة في ذلك أن الأحداث والأسئلة الجديدة تستوجب بيان الحكم، وقد يكون النص القرآني موجودًا من قبل، فتنزل الآية مجددًا لتذكير النبي ﷺ ومن حوله بأنها تتضمن الإجابة أو الحكم المناسب"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن (32/1).

<sup>2</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة كفاها (297/1)(526)

<sup>3</sup> السيوطي، الاتقان في علوم القرآن (131/1).

كما أن تعدد أسباب النزول الذي يذكره المفسرون قد ينشأ من هذا الباب، إذ اعتاد الصحابة والتابعون قولهم: "نزلت هذه الآية في كذا"، أي أنها تتضمن هذا الحكم، وليس بالضرورة أنها نزلت أول مرة لذلك السبب، وبعض المحدثين عدّوا هذه الروايات من المسندات، لكن الإمام أحمد ومسلم وغيرهما لم يعتبروها مرفوعة مسندة، بل من باب الاستدلال والتأويل<sup>1</sup>.

ترجيح فضل عباس في مسألة القول بتعدد النزول:

الذي ترجح لديه "أن القول بتعدد النزول لم يكن معلوما في القرون الأولى، ويؤكد ذلك أننا إذا رجعنا إلى شيخ المفسرين ابن جرير في تفسيره "جامع البيان" لم نجد فيه أثرا لهذه القضية، والذين ذكروا هذه القضية في كتبهم ونقلها من بعدهم عنهم، لم تتفق كلمتهم على الآيات التي قيل بأنها نزلت أكثر من مرة، بل اختلفت كلمتهم. ومن ذلك ما قاله الزركشي عند ذكره بعض الآيات يرى أنها تكرر نزولها منها سورة الفاتحة، قيل إنها نزلت مرتين، مرة في مكة ومرة في المدينة حين حولت القبلة.

حيث أن الاختلاف في القول بسبب نزول آية يمكن الأخذ به في حال القول بأن الآية نزلت عقب تلك الأسباب أو تكون نزلت مرتين مره لهذا السبب ومرة لهذا السبب، والجمع بين الأقوال أولى من القول بالتعدد؛ لأن الأصل عدم التعدد ويقول: لا بد أن نعرض لتعليقات المثبتين وهي: تعظيم شأن النازل، وخوف النسيان، كما ذكره الزركشي، وكون الآية نزلت على حرفين، كما نقله السيوطي عن السخاوي، فقال: أما كون التكرار لتعظيم النازل فأمر لا نستطيع قبوله والتسليم به، فالقرآن كله عظيم، ثم إن كان الأمر كذلك كان حريا بأية الكرسي أن تنزل مرات كثيرة لأنها أعظم آية كما نعلم، وكذلك الآيات التي تحدثت عن أسماء الله وصفاته.

وأما خوف النسيان، فأمر غير وارد بعد قول الله تبارك وتعالى في سورة الحجر المكية ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9] وقوله تعالى: ﴿سَقَرْتُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۗ إِلَّا مَا شَاءَ

<sup>1</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن (33/1).

اللَّهُ ﴿[الأعلى:6-7] والمشية معناها هنا تأكيد لعدم النسيان، وأما كون الآية نزلت على حرفين مختلفين فالإجماع على غير هذا إذ المعلوم عند المحققين أن كتابة القرآن الكريم كان على حرف واحد، ثم إن هذه الآيات التي قيل أنها نزلت مرتين لا نجد في كثير منها قراءات مختلفة، اللهم إلا في أمور قليلة، وأيضاً لم حُصت تلك الآيات التي ذكروا بالنزول مرتين؟ مع أن أكثر آيات القرآن تقرأ قراءات متعددة؟! الحق أن الحجج العقلية التي ذكرها أولئك المثبتون لا يمكن التسليم بها البتة، وإنما قلت: الحجج العقلية؛ لأنه ليست هناك حجة نقلية واحدة تثبت هذه الدعوى<sup>1</sup>.

رأي الباحث في القول بتعدد النزول:

من خلال ما سبق يتبين لدى الباحث أنه لا يوجد تعدد نزول للآية الواحدة لأكثر من مرة، لأن هذا ينافي الدقة والضبط والجدية في التشريع، فإذا نزل الوحي في الآية واتضح الحكم الشرعي في الأمر فلماذا يتكرر نزولها مرة أخرى بنفس النص؟ فإذا تعددت الروايات في أسباب النزول فإننا نحملها على تعدد الأسباب وليس تعدد النزول للآية سيما وأنه لم يرد دليل يقيني على تعدد النزول، بهذا يكون الباحث قد وافق رأي فضل عباس في المسألة بعدم تعدد النزول والله أعلم.

<sup>1</sup> فضل عباس، اتقان البرهان في علوم القرآن (1/132-144).

## المبحث الثاني: تعدد النازل والسبب واحد

"إذا تعددت الروايات في أسباب النزول، وكانت كلها صحيحة صريحة جمع بينها إن كانت متقاربة في الزمان، فتكون كلها أسباباً لنازل واحد وكما تتعدّد الأسباب لنازل واحد، قد يتعدد النازل لسبب واحد، فينزل لهذا السبب آيتان فأكثر في موضعين فأكثر"<sup>1</sup>. "ومثاله ما أخرجه الحاكم والترمذي عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله من سورة آل عمران: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثِيَ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتُلُوا وَفُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ [آل عمران 195]"<sup>2</sup>.

ومن أمثله أيضاً:<sup>3</sup>

"ما أخرجه البخاري عن المسيب قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: أي عمّ، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله"، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله قال: قال رسول الله ﷺ: "والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك". فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٣٢﴾﴾ [التوبة: 113] وأنزل الله في أبي طالب: فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: 56]"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> إسماعيل، دراسات في علوم القرآن (ص162).

<sup>2</sup> الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب التفسیر، من سورة آل عمران، ح: 3174، (328/2). خنيث ضجيج على شرط البخاري ولم يخرجاه، انظر، الزيلعي، تخریج أحاديث الكشاف، (264/1).

<sup>3</sup> القطان، مباحث في علوم القرآن، (ص92).

<sup>4</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، ح: 1294، (457/1).

"وأخرج الترمذي والنسائي عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: يغزو الرجال، ولا تغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء:32]، قال مجاهد: وأنزل فيها: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب:35] وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت مهاجرة<sup>1</sup>.

وأخرج البخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا فأتوا محمداً فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان:68]، ونزل: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر:53]<sup>2</sup>. وهذا النوع أي تعدد الآيات النازلة لسبب أو حدث واحد واقع ولا إشكال فيه، ولا يوجد مانع من حصوله كما ظهر في الأمثلة.

ترجيح فضل عباس في مسألة تعدد النازل والسبب واحد:

يرى فضل عباس أن مثل هذه الصورة لا وجود لها بل تتنافى مع طبيعة القرآن الكريم وواقع الأحداث، حيث أن القرآن الكريم يمتاز بالإيجاز والإحكام، فإذا وقع حدث معين نزلت فيه آية كريمة، فإن هذه الآية لا بد أن تكون كافية تامة مبينة بيانا شافيا لهذا الأمر الحادث، وليس هناك حاجة تدعو إلى نزول آيات ثانية، نعم إن كان السبب متشعب الجهات، فنزلت آيات تبين كل منها جهة من هذه الجهات، فهذا أمر مقبول، ولكن ليس مما ذكره شيء من هذا، فالسبب الواحد لا يحتاج إلى أكثر من نازل واحد، لأن هذه الآية ذات بيان لا تترك في النفوس ما يدعو إلى التساؤل عن هذا السبب الذي حدث<sup>3</sup>.

ويضيف فضل عباس قائلاً: "قد نتساءل نحن: إذا حدث في أيامنا شيء يدعو إلى التساؤل، وسئل أحدنا وأجاب، أيرضى هو أم يرضى غيره أن يجيب بعد شهرين إجابة ثانية، وبعد سنة إجابة ثالثة عن هذا

<sup>1</sup> ابن منصور، سعيد بن منصور (ت227هـ)، التفسير من سنن سعيد بن منصور، تج: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصمعي للنشر والتوزيع، ط.1، 1997م، (3/1138).

<sup>2</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الزمر، باب قوله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم، ح:4810، (6/125).

<sup>3</sup> عباس، اتقان البرهان، ص (331/1)

التساؤل، والإجابة الأولى كافية، فلماذا تكون الأولى والثانية، ذلك أمر ينبغي أن نجل القرآن الكريم عنه<sup>1</sup>.  
ويضيف أيضاً: "إن تعدد النازل والسبب واحد من القضايا التي تستدعي انتباهنا ونحن نكتب في هذا العلم  
العظيم وتتطلب منا الحيطة والحذر، والقرآن الكريم كتاب الفصل والإحكام والبيان. إذا أجاب فإجابته  
القاطعة الجامعة المانعة، والله أعلم بما يُنزل"<sup>2</sup>.

إذاً فضل عباس يرد هذا الرأي وهو أن ينزل في السبب الواحد أكثر من آية.

رأي الباحث في مسألة تعدد النازل والسبب واحد:

من خلال ما سبق يتبين لدى الباحث أنه قد يكون أمر واحد سببا لنزول آيتين أو آيات متعددة ولا مانع  
من ذلك لأنه لا ينافي الحكمة في إقناع الناس وهداية الخلق وبيان الحق عند الحاجة بل إنه قد يكون أبلغ  
في الإقناع وأظهر في البيان.

وتعدد النازل والسبب الواحد في القرآن الكريم يشير إلى أن بعض الآيات أو السور قد نزلت في مواقف  
متعددة أو لأسباب مختلفة، ولكنها تتناول الموضوع نفسه أو القضية نفسها. هذه الظاهرة تظهر في عدة  
آيات، حيث يتم تناول قضية معينة من زوايا مختلفة أو في سياقات متعددة. مثلاً، آيات تتعلق بالعدل أو  
الصبر أو التوحيد قد نزلت في مواقف مختلفة، ولكنها تحمل الرسالة الأساسية نفسها. هذا التعدد يساعد  
في توضيح المعاني وتعميق الفهم لدى المؤمنين، حيث يتناول كل موقف تفاصيل معينة أو يستجيب  
لأبعاد مختلفة من القضية المطروحة.

نضيف إلى ذلك بما أن هذه المسألة تثبت بالأدلة الصحيحة وذلك بنزول أكثر من آية في السبب الواحد  
فلا بد من التسليم والموافقة والإقتناع بهذه المسألة، وهناك أمثلة كثيرة وردت في المسألة على ذلك وبهذا  
يكون الباحث قد خالف فضل عباس في رأيه في هذه المسألة والله تعالى أعلم.

<sup>1</sup> عباس، مرجع سابق، ص (332/1).

<sup>2</sup> عباس، مرجع سابق، ص (333/1).

## المبحث الثالث: سبب نزول بعض الآيات

اهتم علماء القرآن ببيان أسباب نزول الآيات والسور، وتتبع ما ورد في هذا من الروايات. والمقصود بسبب نزول الآية أو السورة هو الحدث أو مجموعة الأحداث والظروف التي اختار الله -تعالى- أن تنزل لأجلها هذه الآية، أو السورة، أو تلك من وحيه المتلوق على نبيه محمد ﷺ. ولم تكن الأحداث الكبرى وحدها سبباً في نزول آيات القرآن، وإنما نزلت آيات كثيرة بسبب بعض الأحداث الصغيرة أيضاً، ولم يكن عدد الآيات الذي ينزل في حادث من الأحداث حسب حجم الحدث، فإن كان كبيراً كان عدد الآيات النازل كبيراً، وإن كان الحادث صغيراً كان العدد قليلاً، وإنما ارتبطت المسألة بما يمكن أن يقدمه الحدث للأصول والقيم الإسلامية من بيان وإيضاح وتأكيد، ومدى حاجة الحياة إلى تدخل الوحي لتقويم المعوج، وتصحيح الخطأ، والثناء على الصواب، وامتداح أهل الحق<sup>1</sup>.

وقد ذكر فضل عباس ثلاثة دعائم لقبول السبب تتمثل فيما يلي<sup>2</sup>:

الدعامة الأولى: الرواية الصحيحة، فإن كانت الرواية غير صحيحة، وجب أن يرد السبب مهما كانت شهرته.

الدعامة الثانية: سلامة الدراية، ويقصد منها ألا يكون المتن متناقضاً مع قواعد النقل والعقل.

الدعامة الثالثة: السياق، ويرى الدكتور فضل أن للسياق أثر لا ينكر في ترجيح قبول السبب وأورده.

ومن الأمثلة على الروايات الواردة مستكملة للشروط لقبول سبب النزول ما يلي<sup>3</sup>:

1. سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة:189]، فقد أخرج البخاري

في صحيحه عن أبي إسحاق، قال: سَمِعْتُ الْبِرَاءَ ؓ، يَقُولُ: «نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيْنَا، كَانَتْ الْأَنْصَارُ

إِذَا حَجَّوْا فَجَاءُوا، لَمْ يَدْخُلُوا مِنْ قِبَلِ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، وَلَكِنْ مِنْ ظُهُورِهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَدَخَلَ

<sup>1</sup> انظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، أسباب النزول، تج: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح -الدمام، ط.2، 1992م (ص257).

<sup>2</sup> فضل عباس، اتقان البرهان (343/1) وما بعدها.

<sup>3</sup> عباس، اتقان البرهان في علوم القرآن (ص 343-344).

مِنْ قَبْلِ بَابِهِ، فَكَأَنَّهُ عَيَّرَ بِذَلِكَ، فَزَلَّتْ: ﴿لَوْلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا النُّبُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ  
اتَّقَى، وَأَتُوا النُّبُوتَ مِنْ أُبُوبِهَا﴾ [البقرة: 189] <sup>1</sup>.

2. سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ أَلْمَلِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: 97] فقد أخرج البخاري  
عن ابن عباس، قَالَ: قُطِعَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْثٌ، فَأَكْتَبْتُ فِيهِ، فَلَقِيتُ عِكْرَمَةَ، فَأَخْبَرْتُهُ فَهَانِي أَشَدَّ  
النَّهْيِ ثُمَّ - قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ: "أَنَّ أَنَسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ، يُكْتَرُونَ سَوَادَ  
الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ، أَوْ يَضْرِبُهُ فَيَقْتُلُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ  
تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ أَلْمَلِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: 97]" <sup>2</sup>.

كما ذكر فضل عباس أن كثيراً من روايات أسباب النزول لا يتفق مع السياق، فما كان من هذه الروايات  
غير صحيح، فالأمر فيه سهل، ولكن الإشكال فيما ادعيت صحته، ويرى الدكتور فضل أن قضية السياق  
قضية جوهرية في سبب النزول. ثم يذكر الدكتور فضل أقوالاً للعلماء توضح أهمية السياق في سبب  
النزول:

قال السيوطي: "وقد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة، وتوضع مع ما يناسبها من الآي العامة رعاية  
لنظم القرآن، وحسن السياق..." <sup>3</sup>.

ثم يذكر فضل عباس أنه إذا كانت الرواية والدراية لا بد منهما لقبول سبب النزول، فإن السياق يعيننا كثيراً  
على ترجيح القول المقبول، والرأي الأصح.

ويقول ابن دقيق العيد: "أما السياق والقرائن فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى  
بيان المجملات وتبيين المحتملات، فاضبط هذه القاعدة، فإنها تعيد في مواضع لا تحصى" <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، أبواب العمرة، باب قوله تعالى (واتوا البيوت) (8/3) (1803).

<sup>2</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب من كره ان يكثر سواد الفتن والظلم (9/52) (7085).

<sup>3</sup> السيوطي، (جالال الدين)، الإتيقان، (1/113).

<sup>4</sup> هنا نقل الدكتور فضل النص بالمعنى، قال ابن دقيق: "فإن السياق طريق إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات، وتنزيل الكلام على المقصود منه، وفهم ذلك قاعدة  
كبيرة من قواعد أصول الفقه". [ابن دقيق العيد، (تقي الدين)، إحكام الأحكام، (2/216)].

ثم يذكر فضل عباس أن هناك أسباب كثيرة يصعب التوفيق بينها وبين السياق، منها قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ [آل عمران: 86]، فقد ورد عن ابن عباس أن رجلاً ارتد فلحق بالمشركين، فأنزل الله ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [آل عمران: 86-89]، فبعث بها قومه إليه... فرجع تائباً، فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركه<sup>1</sup>. يقول الدكتور فضل: "والحق أن هذه الآية -كما يشهد سياقها- نزلت في أهل الكتاب... وهذا ما رجحه ابن جرير الطبري"<sup>2</sup>.

ومن أمثلة الأسباب التي تخالف السياق: ما اشتهر عند كثير من المفسرين أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58] نزلت في عثمان بن أبي طلحة، عندما أخذ منه النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة يوم فتح مكة، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطى المفتاح، وقال: "خذوها يا بني طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها منكم إلا ظالم"<sup>3</sup>.

علق فضل عباس في الحاشية على هذه الرواية بالضعف، فقال: "والحديث مرسل وإسناده ضعيف، وقد رجح الطبري كما في العجائب أنها عامة، وقد ساق ابن حجر أسانيد هذه الرواية في العجائب ولم يعقب عليها"<sup>4</sup>.

والإشكال في آية أداء الأمانات بين السياق وسبب النزول؛ لأن السياق الحديث عن اليهود وما يتصفون به من بخل وحسد وتضييع للأمانات، وهذا السياق -من وجهة نظر الدكتور فضل- لا يتفق من قريب ولا بعيد مع كونها نزلت في عثمان بن أبي طلحة، يوم فتح مكة، هذا جانب، ومن جانب آخر المعنى، وهو أن النبي أولى بمفتاح الكعبة من عثمان ومن غيره؛ لأنه من المصالح العامة، كما ذكر صاحب تفسير المنار<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> انظر: الطبري، (محمد بن جرير)، جامع البيان، (575/6)؛ عباس، (فضل حسن)، إتيان البرهان، (349/1).

<sup>2</sup> فضل عباس، إتيان البرهان، (349/1).

<sup>3</sup> انظر: الطبري، جامع البيان، (494/8)؛ الواحدي، أسباب النزول، (ص130)؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد: "فيه عبد الله بن المؤمل وثقة ابن حبان وقال يخطئ ووثقه ابن معين في رواية وضعفه جماعة (285/3).

<sup>4</sup> ابن حجر، العجائب، (894/2)؛ عباس، (فضل حسن)، إتيان البرهان، حاشية الكتاب، رقم (5/349).

<sup>5</sup> رضا، (محمد رشيد)، تفسير القرآن الحكيم، (5/169).

ويضيف فضل عباس بأن كون مفتاح الكعبة مع عثمان بن أبي طلحة ليس بأمر إلهي، فلا يعقل أن يكون من عهد إبراهيم.

فالمراجع كما يراه الباحث أن الآية عامة؛ وهذا ما أكده الطبري وابن حجر العسقلاني كما سبق ولأن الحديث قد ضعفه العلماء، ولمخالفته للسياق، والله أعلم.<sup>1</sup>

ترجيح فضل عباس في مسألة سبب النزول:

يرى فضل عباس "أن أول دعامة لا بد منها لقبول سبب النزول: الرواية الصحيحة، إذا عدت هذه الدعامة، وجب أن يرد هذا السبب، حتى ولو كان مشتهراً، سارت بذكره الركبان. والدعامة الثانية: سلامة الدراية، وتعني ألا يكون المتن مناقضاً لقواعد النقل والعقل، أما الدعامة الثالثة: فتتمثل بالسياق: فللسياق أثر لا ينكر في ترجيح القبول، قبول السبب أو رده، فإذا اجتمعت هذه الدعائم تمسكنا بهذا السبب، ونافحنا عنه".<sup>2</sup>

ومن الأمثلة التي يوجد له رأي في سبب نزولها ما يلي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾﴾ [التحریم: 1].

فمن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ: أَنَّ أَيْتِنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرٍ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ، فَدَخَلَ عَلَيَّ إِخْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «لَا، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ» فَنَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: 1] إِلَى ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ [التحریم: 4] لِغَائِشَةَ وَحَفْصَةَ: ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ﴾ [التحریم: 3] لِقَوْلِهِ: «بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> انظر العجائب، ابن حجر (889/2-895)، وانظر: جا مع البيان، الطبري، (492/8)

<sup>2</sup> عباس، إتيان البرهان، ص 343.

<sup>3</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب لم تحرم ما احل الله لك (7/ 44) (5267).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ يَطُؤُهَا فَلَمْ تَزَلْ بِهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ حَتَّى جَعَلَهَا عَلَى نَفْسِهِ حَرَامًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ [التحریم: 1] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ<sup>1</sup>.

فقال ابن حجر: "يحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معا"<sup>2</sup> وقال الشوكاني في تفسيره "فهذان سببان صحيحان لنزول الآية والجمع ممكن بوقوع القستين: قصة العسل وقصة مارية، أن القرآن نزل فيهما جميعا، وفي كل واحد منهما أنه أسر الحديث إلى بعض أزواجه"<sup>3</sup>.

"ترجيح فضل عباس" ولكن الذي يبدو لي أن الرواية الأولى التي تتحدث عن العسل، هي التي ينبغي أن تكون سبب نزول وليست الثانية، وذلك ما يلي:

1. لأنها في صحيح البخاري، وليست الرواية الثانية كذلك.

2. لأن سيدنا رسول الله ﷺ يعلم الناس الخير والعدل، فهو إن حلف ألا يشرب عسلا، فذلك أمر يخصه هو، وليس فيه تعد على أحد، أما الرواية الثانية فلا إخالها تكون من الرسول ﷺ، إذ فيها تعد على حقوق الآخرين، فالرسول ﷺ قد يبتغي مرضات أزواجه، فيما لا ضرر فيه ولا ضرار، لذلك يترجح لدي صحة الرواية الأولى وهو ما ذهب إليه كثير من المفسرين.<sup>4</sup>

ثانيا: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر: 24] عن ابن عباس قال: كَانَتْ تُصَلِّي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ امْرَأَةً حَسَنَاءَ فِي أَوَّلِ النَّسَاءِ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَقَدَّمُ إِلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ لِنَلَا يَرَاهَا، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَكُونُ فِي آخِرِ الصَّفُوفِ فَإِذَا رَكَعَ قَالَ هَكَذَا، وَنَظَرَ مِنْ تَحْتِ إِبْطِهِ فَنَزَلَتْ.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> النسائي، سنن النسائي، كتاب عشرة النساء، باب الغيرة (72/7) (3959). حديث صحيح على شرط مسلم، انظر: الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن النسائي، مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض، ط.1، 1988م، (831/8).

<sup>2</sup> ابن حجر، فتح الباري، (283/10).

<sup>3</sup> الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، دار ابن كثير، ط.1، 1414هـ، (252/5).

<sup>4</sup> عباس، اتقان البرهان، (355/1-356).

<sup>5</sup> الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، المعجم الكبير، باب ما يعرف من النساء، باب ام الحصين الأحمسية، تح: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط.1، د.ت (158/25) (383).

ترجيح فضل عباس سبب نزول الآية: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر: 24]

يقول فضل عباس رحمه الله: "وهذا سبب باطل رواية ودراية وسياقا فليس فيه أي دعامة من دعائم القبول لأسباب النزول، فالرواية غير صحيحة، ثم هي مردودة دراية كذلك، لأنها إساءة للصحابة رضوان الله عليهم، أما من حيث السياق فليس لها أي وزن، ذلك أن الآية مكية باتفاق، وصلاة الجماعة إنما كانت بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام"<sup>1</sup>.

رأي الباحث في مسألة اسباب النزول:

إن معرفة سبب النزول تدخل في علم التفسير، بل هي من أعظم ما يعين على فهم القرآن، ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

كما أن معرفة أسباب النزول وما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، فإنها قرائن تعين على الفهم، حيث يقول الواحدي: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها. فتظهر أهمية معرفة أسباب النزول في توضيح معاني الآيات، ومعرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، كما أن هناك أبحاثا في أصول الفقه استندت على معرفة سبب النزول، أو أفادت منها، مثل: خصوص السبب وعموم اللفظ". وقد ذهب الواحدي في كتابه أسباب النزول إلى أن: "أسباب النزول أول ما يجب الوقوف عليه، وأول ما تصرف العناية إليه، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سببها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"<sup>2</sup>.

فمعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فهما سليما، ويزيل اللبس الذي قد يحصل في فهم الآيات، وهذا ما كشفه الفهم السليم لقوله عز وجل: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ

<sup>1</sup> عباس، اتقان البرهان، (358/1).

<sup>2</sup> الواحدي، ابو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، ت: 468هـ، أسباب نزول القرآن، ط الثانية، 1412هـ-1992م تح عصام بن عبد المحسن حميدان ص (8).

أَللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴿[البقرة:195] فسبب النزول هو الذي بين الفهم السليم للآية من أن ترك الجهاد في

سبيل الله وترك الإنفاق في سبيل الله هو التهلكة، كما ظن الصحابة عكس ذلك قبل معرفة سبب النزول.

وقد توافق الباحث في مسألة أسباب النزول مع فضل عباس من حيث المفهوم والفوائد التي تعود على

المفسر أو الدارس لأسباب النزول والله تعالى أعلم.

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

تناول الباحث في هذا البحث دراسة ترجيحات فضل عباس المتعلقة بنزول القرآن في كتابه (إتقان البرهان في علوم القرآن) حيث تميز هذا الكتاب بحسن العرض وسهولة الأسلوب وقرب المأخذ، حيث توخى المؤلف في هذا الكتاب الجدة والجديّة، فالجدة من خلال جعل هذا العلم متحركاً دائماً مع الزمن في سيره حيث لا يجمد عند زمان معين أما من ناحية الجديّة فقد قبل المؤلف ورفض وناقش ورجح ووافق وخالف أقوال ما كتب من علماء سابقين فلم يأخذها على أنها مسلمات لا ينبغي الخروج عنها. ولكثرة الآراء التي بحثها المؤلف رحمه الله تعالى، والتي تحتاج للتحليل والمناقشة، فلهذا وقع اختيار الباحث على كتاب (إتقان البرهان في علوم القرآن) لفضل عباس، ومن خلال دراسة ما سبق توصل الباحث إلى النتائج والتوصيات التالية:

### النتائج:

- اشترط فضل عباس توفر شروط قبول الحديث عند العلماء من حيث سلامة المتن والسند.
- اعتماد فضل عباس في كتابه على الدقة والاستقصاء وحسن العرض.
- توسع فضل عباس في ذكر المسائل وإضافة الأمثلة والأقوال لكل مبحث.
- التزم فضل عباس بالرجوع إلى المصادر الموثوقة والقرآن الكريم والسنة النبوية حيث حرص على اعتماد الأحاديث الصحيحة.
- التزم فضل عباس إبراز أهمية اللغة العربية ومكانتها في تفسير كتاب الله سبحانه وتعالى.

## التوصيات:

- يُوصى الباحث بإجراء المزيد من الدراسات التحليلية حول منهج فضل عباس في الترجمات، مع التركيز على الأسس التي اعتمدها في كتابه "إتقان البرهان".
- يُنصح بتوسيع نطاق البحث ليشمل مقارنة ترجمات فضل عباس بترجمات علماء آخرين في المجال نفسه، لتوضيح مدى تأثيره وأصالته.
- يُوصى بتقديم ورش عمل ودورات تدريبية للباحثين والطلاب حول منهج فضل عباس في الترجمات، لتعزيز فهمهم وتطبيقهم لهذه الأساليب.

## قائمة المصادر المراجع

### القرآن الكريم

الإبراهيم، محمد عقلة وآخرون، العلامة الدكتور فضل حسن عباس وجهوده في الدراسات القرآنية، مجلة الفرقان، العدد السابع والعشرون، 2003م.

الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله، الشريعة، تح: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن-الرياض، ط.2، 1999م.

إسماعيل، محمد بكر، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط.2، 1999م.

الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن النسائي، مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض، ط.1، 1988م.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة ط، 1974م.

أيوب، حسن محمد أيوب، الحديث في علوم القرآن والحديث، دار السلام-الإسكندرية، ط.2، 1425هـ

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق نجا، ط.1، 1422هـ.

البغا، مصطفى ديب، محيي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب/ دار العلوم الانسانية -دمشق، ط.2، 1418هـ-1998م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1421هـ-2000م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط، 1980م.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط.1، 1403هـ-1983م.

الجرجاني، محمد بن يوسف بن إسماعيل، الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس رحمه الله وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، جامعة العلوم الإسلامية - عمان، 2012م.

الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، المستدرک علی الصحیحین، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1411-1990.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، المكتبة السلفية - مصر، ط.1، 1390هـ.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، تح: زهير بن ناصر الناصر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط.1، 1994م.

الحمودي، عبد الستار جبر غايب، علم أسباب نزول القرآن دراسة تاريخية، ديوان الوقف السني - بغداد، ط.1، 2014م.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، مسند أحمد، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرين مؤسسة الرسالة، ط.1، 1421هـ-2001م.

حويه، محمد عمر، نزول القرآن الكريم وتاريخه وما يتعلق به، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ط1، د.ت.

الرقب، صالح إبراهيم سليمان، الاتجاه الفقهي عند فضل عباس في تفسيره، عمان، 2019م.

الرومي، فهد، دراسات في علوم القرآن، دن، ط.12، 1424م-2003م.

الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط.3، د.ت.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو

الفضل إبراهيم، ط.1، 1376هـ-1957م.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط.15، 2002م.

الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف، تخريج أحاديث الكشاف، دار ابن خزيمة - الرياض،

ط.1، 1414هـ.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية -

بيروت، ط.1، 1988م.

السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، الإتيان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.1394هـ/1974م.

أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبة السنة - القاهرة، ط.2،

2003م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، دار ابن كثير، ط.1، 1414هـ.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن

تيمية - القاهرة، ط.1، د.ت.

الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك، شرح مُشكل الآثار، تح: شعيب الانراؤوط،

مؤسسة الرسالة، ط.1، 1415هـ-1994م.

عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار النفائس، ط.4، 1442هـ-2022م.

عبد الجواد، خلف محمد عبد الجواد، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، دار البيان العربي - القاهرة، ط، ت.

العلامة الشيخ فضل حسن عباس، رابطة العلماء السوريين، الأحد 18 رجب 1445 - 28 يناير 2024،  
تاريخ الزيارة، 2024/1/15، الموقع الإلكتروني،  
<https://islamsyria.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A-7%D9%85%D8%A9>

الفارابي، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط.4، 1407هـ-1987 م.

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط.8، 1426هـ-2005م.

قابة، عبد الحلیم بن محمد، وقفات مع تحقیقات الشيخ الدكتور فضل حسن عباس في كتابه "إتقان البرهان في علوم القرآن": دراسة تطبيقية علي فصلي الأحرف السبعة والقراءات القرآنية، جامعة الملك خالد، المجلد 15، ع2، 2018م.

القاضي أبو بكر الباقلائي، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، الانتصار للقرآن، تح: محمد عصام القضاة، ط دار الفتح - عمان، درا ابن حزم - بيروت 1422هـ-2001م.

القطان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط.3، 1421هـ-2000م.

المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي، تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، تح: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، ط.2، 1983م.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى  
البياتي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1995.

ابن منصور، سعيد بن منصور، التفسير من سنن سعيد بن منصور، تح: د سعد بن عبد الله بن عبد  
العزیز آل حمید، دار الصمیعی للنشر والتوزیع، ط.1، 1997م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.3، 1993م.  
النبهان، حمد فاروق، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن - حلب، ط.1، 1426 هـ -  
2005م.

النكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمدي، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات  
الفنون، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، 2000م

النملة، عبد الكريم بن علي بن محمد، المهذب في علم أصول الفقه المقارن، مكتبة الرشد-الرياض، ط.1،  
1999م،

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، شرح النووي على صحيح مسلم، دار احياء التراث العربي  
- بيروت، ط.2، 1392هـ.

النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، أسباب النزول، ت: كمال بسيوني زغلول، دار  
الكتب العلمية - بيروت، ط.1، 1411هـ،

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، أسباب النزول، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار  
الإصلاح - الدمام، ط.2، 1992م.



**An-Najah National University**  
**Faculty of Graduate Studies**

**AN ANALYTICAL STUDY OF FADL ABBAS'S PERSPECTIVES  
ON THE REVELATION OF THE QUR'AN IN HIS WORK *ITQAN  
AL-BURHAN FI ULUM AL-QUR'AN***

**By**  
**Abdul Ra'ouf Ibrahim Younis Mahmoud**

**Supervisor**  
**Dr. Khaled Alwan**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of  
Master of Jurisprudence & Legislation, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National  
University, Nablus- Palestine.**

**2025**

**AN ANALYTICAL STUDY OF FADL ABBAS'S PERSPECTIVES  
ON THE REVELATION OF THE QUR'AN IN HIS WORK *ITQAN  
AL-BURHAN FI ULUM AL-QUR'AN***

**By  
Abdul Ra'ouf Ibrahim Younis Mahmoud  
Supervisor  
Dr. Khaled Alwan**

**Abstract**

This study explores the contributions of Dr. Fadl Abbas, focusing specifically on his book *Mastery of Proof in Quranic Sciences*. It examines his approach to various issues within Quranic studies, highlighting the methodology he employed in addressing matters related to the Quran's revelation. The research aims to showcase Dr. Abbas's efforts—may God have mercy on him—in serving the Quran and its sciences by analyzing his method of discussing the concept of revelation and identifying his preferred interpretations in the book.

The study relies on inductive, analytical, and critical methods to achieve its goals. Among its key findings is that the first condition for accepting any cause of revelation is the authenticity of the narration. If this authenticity is lacking, the cause should be rejected even if widely cited. The second condition is sound comprehension, and the third is the context itself, which Dr. Abbas considers a crucial factor in determining the validity of a reported reason. The researcher recommends further analytical studies focused on Dr. Abbas's methodology in preference and interpretation, with particular attention to the principles he adopted in *Mastery of Proof*.

**Keywords:** Preferences; Issues; Quranic Sciences.